

شَيْخُ

فَضْلُكَ الْإِسْلَامُ

للإمام / مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الرَّابِعِ

الشَّيْخُ

لِفَضْلَةِ الشَّيْخِ الْمَلَمَةِ

الذَّكْوَرُصِيِّ بْنِ فُوزَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْفُوزَانِ

مُفَرَّغَ اللَّهِ لَهُ وَلَوْلَا الْمَدِينَةُ وَلَمْ يَكُنِ السَّابِقِينَ

ابن تيمية بن عبد الرحمن بن تيمية

د. سَلَمَانُ جَابِرُ عَشْمَانِ الْمُجَاهِدِ السُّوَيْلَمِ

مُفَرَّغَ اللَّهِ لَهُ وَلَوْلَا الْمَدِينَةُ وَلَمْ يَكُنِ السَّابِقِينَ

مَكْتَبَةُ الْأَعْلَامِ الدِّهْلِيَّةِ

المَكْتُوبَاتُ

الْبَرَاءَةُ الدِّهْلِيَّةُ

الرِّيَاضُ

سلسلةُ شُرُوحاتٍ ومؤلَّفاتٍ لمآلي الشَّيخِ صالح الفوزان

شَهِيدٌ
فَضْلُكَ الْإِسْلَامُ

② مؤسسة التراث الذهبي للنشر والتوزيع، ١٤٤٠ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المجله، سلمان بن جابر بن عثمان

شرح فضل الإسلام، / سلمان جابر المجله، - الرياض، ١٤٤٠ هـ

٢٠٧ ص، ١٧/٢٤ سم

ردمك: ٨-٢-٩١١٨٢-٦٠٣-٩٧٨

١- الأخلاق الإسلامية ٢- الفضائل الإسلامية أ. العنوان

١٤٤٠/٧٨٢٦

ديوي ٢١٢،٢

رقم الإيداع، ١٤٤٠/٧٨٢٦

ردمك: ٨-٢-٩١١٨٢-٦٠٣-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

(١٤٤٥ هـ - ٢٠٢٣ م)



مكتبة الإمام الذهبي للنشر والتوزيع

الفرع الرئيسي: حولي - شارع المثني - مجمع البدري - ت، ٢٢٦٥٧٨٠٦

فرع المصاحف، ت ٢٢٦١٥٠٤٦ - فرع الجهراء الناصر مول، تلفون: ٩٥٥٥٨٦٠٨

فرع الفحيحيل البرج الأخضر - شارع الدبوس - تلفون: ٢٥٤٥٦٠٦٩ - ٩٥٥٥٨٦٠٧

فرع الرياض المملكة العربية السعودية التراث الذهبي - جوال ٠٠٩٦٦ ٥٥٧٦٥١٣٨

الخط الساخن: جوال، ٠٠٩٦٥ ٩٤٤٠ ٥٥٥٩



z.zahby74@yahoo.com



imamzahby

شَيْخُ فَضْلِكَ الْإِسْلَامِ

لِلْإِمَامِ / مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ

الشَّيْخُ

لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ الْعَلَامَةِ

الدَّكْتُورِ صَالِحِ بْنِ فُوزَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْفُوزَانِ

عَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلَوْ الدِّيَّةَ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ

اعْتَنَى بِهِ وَأَشْرَفَ عَلَى طَبْعِهِ

د. سَلْمَانُ جَابِرُ عُثْمَانِ الْمُجَاهِدِ السُّوَيْلِمِ

عَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلَوْ الدِّيَّةَ وَلِأَهْلِ بَيْتِهِ وَلِشَايِخِهِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وبعد:
فقد أذنت لابننا وتلميذنا فضيلة الشيخ الدكتور سلمان بن جابر بن عثمان المجلهم،
بطباعة كتابي: شرح فضل الإسلام للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.
رجاء أن ينفع الله به، ويكتب لي وله الأجر.
وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.

كتبه: د. صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة

هـ ١٤٤٠ / ١٢ / ٢١

مُقَدِّمَةُ النَّاشِرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، أما بعدُ:

فهذا شرح وتعليق شيخنا العلامة الفضال صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان -رفع الله مقامه في الآخرة- على كتاب (فضل الاسلام) للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب التميمي -رحمه الله تعالى، وأعلى مقامه في الآخرة-، قد جعل فيه أبواباً نافعة في فضل الإسلام، وتفسير الإسلام، ووجوب الدخول في الإسلام وترك ما سواه، ووجوب الاستغناء بمتابعة الكتاب العزيز، وما جاء في الخروج عن دعوى الإسلام... وقرّر المؤلف أن البدعة أشد من كبائر الذنوب، وأن الله احتجز التوبة عن صاحب البدعة، والتحذير من البدع، وما جاء في غربة الإسلام، وفضل الغرباء، كما جعل بعض أبواب الكتاب خاصة ببعض آيات القرآن العظيمة، وهذا الكتاب غنيٌّ بأحاديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويوضح انتفاء المسلم لهذا الدين العظيم الخالد، والحذر من أي انتفاء يخالف مقاصد دين الإسلام وشريعته الخالدة، وأن من أعظم النعم أن يكون المرء مهتدياً مستجيباً لأمر الله جَلَّ وَعَلَا ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن يقيم الإسلام في نفسه وقلبه، وأن يثبت عليه حتى يلقي الله تعالى عليه، وما أجمل ما قاله حبر الأمة العالم البحر عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (أخبر الله نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمؤمنين، أنه أكمل لهم الإيمان فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً، وقد

أتمه الله فلا ينقصه أبداً، وقد رضىه فلا يسخطه أبداً)، كما قال الله جل شأنه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، وقد كان من دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «يَا وَلِيَّ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، مَسْكِنِي الْإِسْلَامَ حَتَّى أَلْقَاكَ عَلَيْهِ»، كما أخرجه الطبراني والدارقطني وحسن إسناده الألباني. فنسأل الله الثبات على الإسلام والتوحيد والسنة حتى نلقى الله تعالى على أحسن حال، بالميتة الحسنة الطيبة، وخاتمة الخير، وأن نكون ممن يبشّر عند موته بروح وريحان، ورب غير غضبان، فاللهم استجب.

وقد طُبِعَ الكتاب على نفقة الشيخ أبي عبدالرحمن مساعد بن عليّ الشامي، والشيخ أبي وائل محمد بن أحمد الفرحان وزوجته الكريمة، غفر الله لهم، وتقبل منهم، وجزاهم خير الجزاء في الدنيا والآخرة.

ومما يشار إليه أن طباعة هذا الكتاب، وريعه، والعائد من بيعه، وكل ما بُذِلَ فيه هو وقف لله تعالى، وهو مشروع وقفٌ من أموال وقفية، تقبل الله من الجميع.

والله أعلم، وأعظم وأحكم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

د. سَلْمَانُ جَابِرُ عَثْمَانَ الْمُجَاهِدُ السُّوَلِيُّ

عَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِرَأْسِهِ وَلِأَهْلِ بَيْتِهِ وَلِشَايِخِهِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الشارح

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فإن الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ فِي (كتاب التوحيد)، وكتاب (أصول الإيمان)، وكتاب (فضل الإسلام)، وكتاب (الكبائر) درج على ما درج عليه المحدثون؛ في أنه في هذه الكتب يأتي بالتراجم ويسوق بعدها الآيات والأحاديث، فهو يأتي بالترجمة التي تتضمن ما تفيده النصوص التي يسوقها بعدها، وهذه طريقة المحدثين؛ كالإمام البخاري وغيره، فهو لا يأتي بكلام من عنده، وإنما يأتي بما دل عليه الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح، لا كما يقوله أعداؤه: إنه أتى بمذهب خامس، يسمونه المذهب الوهابي؛ تنفيراً عنه وعن دعوته!

وقد كان عالم من علماء الهند كلما فرغ من درسه رفع يديه وجعل يدعو على الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فسمعه بعض الناصحين فجاء على مؤلف الشيخ (كتاب التوحيد)، ونزع غلافه الذي فيه اسم الشيخ، وقدمه إليه يسأله: من هو مؤلف هذا الكتاب؟ فتأمل له ذلك العالم وجاء من الغد وقال للرجل الذي قدمه إليه: هذا من مؤلفات الإمام البخاري! فردَّ الرجل

غلافه عليه، وقال له: هذا هو ابن عبد الوهاب الذي تدعو عليه، فنَدِمَ العالم، وجعل يدعو للشيخ محمد بعد كل درس.

وهو في هذا الكتاب يبيِّن أولاً أصول الإيمان، ثم فضل الإسلام؛ وذلك لأن الدين يتكون من ثلاث مراتب: المرتبة الأولى: الإسلام. المرتبة الثانية: الإيمان. المرتبة الثالثة: الإحسان؛ كما جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ، فَقَالَ: مَا الْإِيمَانُ؟ فَقَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ». قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ. قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ؛ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ...» إلى آخر الحديث^(١). فهذه مراتب الدين؛ المرتبة الأولى: الإسلام، ثم فوقها: الإيمان، ثم فوقها: الإحسان. فهو رَحِمَهُ اللَّهُ أراد أن يبيِّن الإسلام والإيمان في هذا الكتاب: (أصول الإيمان).



(١) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٥) (٩)، و(٧) (١٠).

قَالَ الْإِمَامُ الْمَجْدُ، شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ - أَجَزَلَ اللَّهُ لَهُ
الْمَثُوبَةُ وَالْمَغْفِرَةُ -:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَبِهِ نَسْتَعِينُ

بَابُ: فَضْلِ الْإِسْلَامِ

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي
وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

الشرح

الباب الأول من أبواب هذا الكتاب هو: (بَابُ: فَضْلِ الْإِسْلَامِ)، ثم
أتبعه بأبواب أخرى؛ مثل: باب وجوب الإسلام، وباب تفسير الإسلام، وما
يُخْرِجُ مِنَ الْإِسْلَامِ... إلخ.

لَمَّا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واقفًا في عرفة في حجة الوداع، نزلت عليه
هذه الآية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ
الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(١)، وهي آخر ما نزل على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من القرآن

(١) أخرجه البخاري (٤٤٠٧)، ومسلم (٥) (٣٠١٧)، واللفظ له، عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ،
قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ إِلَى عُمَرَ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرُؤُونَهَا،
لَوْ عَلَيْنَا نَزَلَتْ -مَعَشَرَ الْيَهُودِ- لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا. قَالَ: وَأَيُّ آيَةٍ؟ قَالَ:
﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].
فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي لَأَعْلَمُ الْيَوْمَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ، وَالْمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ؛ نَزَلَتْ عَلَى =

الكريم؛ لأنه عاش بعدها مدة يسيرة بعد أن رجع إلى المدينة بعد الحج؛ فدلَّ هذا على أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما تُوفِّيَ حتى أكمل الله به الدين، وفي هذا ردُّ على المبتدعة الذين يُحَدِّثُونَ أَشْيَاءَ وينسبونها إلى الدين وهي ليست منه، فأَيُّ إنسانٍ يأتي بزيادة في الدين فهي مردودة؛ كما في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحَدَّثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ، فَهُوَ رَدٌّ»^(١).

وفيه ردُّ على الذين ينتقصون الإسلام، ويقولون: إنه لا يصلح لكل زمان ومكان! مثل ما ينادي به الآن الذين يقولون: إن الإسلام لأجيالٍ مَضَتْ، ولَفَتْرَةٍ مَضَتْ، فلا يصلح لآخر الزمان! مع أن قوله تعالى: ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ يدل على أنه صالح لكل زمان ومكان، وإذا قَصُرَتْ أفهام بعض الناس عن فهم الإسلام، فالعيب ليس في الإسلام، إنما العيب في فهمهم له، وإلا فالدين كامل وشامل لمصالح العباد إلى أن تقوم الساعة.

﴿وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ بهذا الدين؛ فهذا الدين هو أعظم نعمة أنعم الله بها على البشرية، لكن مَنْ قَبْلَ هذه النعمة استفاد منها، ومن لم يقبلها فإثمُه وضرره عليه؛ لأنه هو الذي رفض هذه النعمة.

ثم قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ الإسلام: هو الدين الذي قال الله فيه أوَّل هذه الآية: ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، فالله سبحانه

= رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَرَفَاتٍ، فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ». وانظر: تفسير الطبري (٨/ ٧٨)، وزاد

المسير (١/ ٥١٣)، والقرطبي (٦/ ٦١)، وابن كثير (٣/ ٢٦).

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) واللفظ له.

أَكَلَمَهُ وَرَضِيَهُ لِنَفْسِهِ، وَرَضِيَهُ لِعِبَادِهِ، وَلَا يَرْضَى دِينًا سِوَاهُ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ
الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، فَسَائِرُ الْأَدْيَانِ بَعْدَ مَجِيءِ دِينِ مُحَمَّدٍ
-كَالنَصْرَانِيَّةِ وَالْيَهُودِيَّةِ- كُلُّهَا بَاطِلَةٌ لَا يَرْضَاهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ
غَيْرَ الْأَسْلَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

فَفِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ رَدٌّ عَلَى الَّذِينَ يَقُولُونَ مِنْ أَهْلِ زَمَانِنَا: إِنَّ الْأَدْيَانَ
الثَّلَاثَةَ -الْيَهُودِيَّةَ وَالنَّصْرَانِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ- كُلُّهَا حَقٌّ، وَكُلُّهَا تَوْصِلُ إِلَى اللَّهِ!
فَهَذَا كَذِبٌ وَافْتِرَاءٌ؛ فَلَيْسَ هُنَاكَ دِينٌ حَقٌّ بَعْدَ مَجِيءِ هَذَا الدِّينِ إِلَّا الْإِسْلَامُ،
فَبَعْدَ بَعَثَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَجِيءِ الْإِسْلَامِ نُسِخَتْ الْيَهُودِيَّةُ وَالنَّصْرَانِيَّةُ،
فَسَائِرُ الْأَدْيَانِ إِمَّا مُحَرَّفٌ وَمُبَدَّلٌ، وَإِمَّا مَنْسُوخٌ وَمُتَنِّهِ أَجْلُهُ، فَلَمْ يَبْقَ دِينٌ
يَرْضَاهُ اللَّهُ إِلَّا الْإِسْلَامُ، فَمَنْ أَرَادَ دُخُولَ الْجَنَّةِ فَلْيَتِمَسَّكْ بِهَذَا الْإِسْلَامِ،
وَمَنْ أَرَادَ دِينًا غَيْرَهُ فَلَيْسَ لَهُ إِلَّا النَّارُ؛ لِأَنَّهُ رَفَضَ دِينَ اللَّهِ الَّذِي رَضِيَهُ اللَّهُ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِعِبَادِهِ^(١)، فَالْيَهُودِيَّةُ غَيْرُ الْمُحَرَّفَةِ الَّتِي هِيَ دِينُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ
كَانَتْ فِي وَقْتِهَا دِينًا صَحِيحًا مَقْبُولًا، وَكَذَلِكَ النَّصْرَانِيَّةُ غَيْرُ الْمُحَرَّفَةِ، لَكِنْ
بَعْدَ مَجِيءِ الْإِسْلَامِ نُسِخَتْ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْإِسْلَامُ، وَالْوَاجِبُ اتِّبَاعُ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ
فِي كُلِّ زَمَانٍ وَفِي كُلِّ مَكَانٍ، وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ بِاتِّبَاعِ الْإِسْلَامِ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ
اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا
اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣١-٣٢].

(١) كَمَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٤٠) (١٥٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِأَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمَةِ يَهُودِيٍّ،
وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ؛ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ».

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُم﴾ الآية [يونس: ١٠٤].

الشرح

الآية الأولى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ خطابٌ للمؤمنين، والآية الثانية: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾ خطابٌ للمشركين.

﴿قُلْ﴾ أيها الرسول: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾ جميع البشرية ﴿إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن أَعْبُدُ اللَّهَ﴾ فهذا هو دين الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عبادة الله، وترك عبادة ما سواه ﴿الَّذِي يَتَوَفَّكُم﴾ عند نهاية آجالكم، وَيَنْقُلُكُمْ مِنْ هَذِهِ الدَّارِ إِلَى دَارِ الْجَزَاءِ، فالله هو المستحقُّ للعبادة؛ لأنه إليه المرجع والمصير، أما هذه الأصنام فليس لها من الأمر شيءٌ، لا تُحيي ولا تميت، ولا تجازي أحداً؛ لأنها مخلوقات لا تملك لنفسها ضرراً ولا نفعاً، فكيف تملك غيرها؟! هذا من العجائب واستخفاف العقول ﴿إِنَّ الَّذِينَ نَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَمْثَالِكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٤]، ﴿إِن نَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ﴾ [فاطر: ١٤]، فهذا مخاطبة للعقول.

﴿فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن أَعْبُدُ اللَّهَ﴾ فالعبادة حقُّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿الَّذِي يَتَوَفَّكُم وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مأمور، وهو يمثل أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويُبلِّغه للناس.

ثم قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٠٥) وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِذَا يُرِيدُ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَتَّبِعُنَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ كُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْنَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٥-١٠٩].

آيات عظيمة، فيها مفاصلة بين الحق والباطل، ليس فيها لبس ولا غموض، الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعبد الله، وهؤلاء يعبدون غير الله، بل يعبدون مخلوقات ليس بيدها شيء، ولا تملك شيئاً، فهذه مفاصلة بين التوحيد والشرك، الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما جاء بشيء جديد، ولا دعا إلى عبادة نفسه، وإنما دعا إلى عبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

إذن فالإسلام الذي جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو: أَنْ يُعْبَدَ اللَّهُ، وَتُتْرَكَ عِبَادَةُ مَا سِوَاهُ.



وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَجَعَلَ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

[الحديد: ٢٨].

الشرح

الآية الأولى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ...﴾ خطابٌ للمؤمنين، والآية الثانية: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ...﴾ خطابٌ للمشرِكين والوثنيين، وهذه الآية ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾ خطابٌ لأهل الكتاب من اليهود والنصارى ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ يعني: محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ أجر الإيمان بالرسول السابقين، وأجر الإيمان بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالمؤمن من أهل الكتاب يُؤْتَى أجره مرتين: أجر الإيمان بالكتاب السابق، وأجر الإيمان بالكتاب المتأخر^(١)، وهذا فضلٌ عظيم؛ قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ [القصص: ٥٤].

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ نُورًا﴾ نور البصيرة ﴿تَمْشُونَ بِهِ﴾ تُمِيزُونَ به بين الحق والباطل، والهدى والضلال؛ لأن هذا الدين نورٌ؛ فالقرآن نورٌ، والسنة نورٌ؛ ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَنٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]، فالذي يمشي على هدى القرآن يمشي على النور، والذي يمشي على غير هدى القرآن يمشي في ظلمة وضلال -والعياذُ بالله- وإن زُينَ

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٤٣٥)، وزاد المسير (٤/ ٢٣٩)، والقرطبي (١٧/ ٢٦٦)،

وابن كثير (٨/ ٣٢)، والدر المنثور (٨/ ٦٥).

وَزُخْرِفَ لَهُ مَا هُوَ عَلَيْهِ، فَهُوَ بَاطِلٌ وَضَلَالٌ. وَالْإِيمَانُ بِالرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبَبٌ لِهَذَا النُّورِ الْحَقِيقِيِّ الَّذِي يَسِيرُ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ^(١).

﴿وَيَعْرِفْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ مزايا عظيمة يُرَغَّبُ فِيهَا أَهْلُ الْكِتَابِ فِي أَنْ يُؤْمِنُوا بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الَّذِي جَاءَ بِهَا جَاءَ بِهِ إِخْوَانُهُ النَّبِيُّونَ، وَدَعَا إِلَى مَا دَعَا إِلَيْهِ، وَهُوَ: إِخْلَاصُ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ عَزَّجَلَّ، وَتَرْكُ عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ، فَكَانَ مِنَ الْعَجِيبِ أَنْ يَعْصُوهُ وَيُخَالِفُوهُ، مَعَ أَنَّهُ مَا جَاءَ بِشَيْءٍ يَخَالِفُ مَا عَلَيْهِ أَنْبِيَائُهُمْ وَرَسُولُهُمْ؛ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ الْإِيمَانُ بِهَذَا الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ بَعَثَتِهِ، وَأَنْ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهَذَا الرَّسُولِ فَلَيْسَ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَإِنَّمَا هُوَ عَلَى الْكُفْرِ.

وَدَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى فَضْلِ مُؤْمِنِي أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَقَبِلُوا الْحَقَّ، وَأَنَّ اللَّهَ سَيُعْطِيهِمُ الْأَجْرَ مَرَّتَيْنِ، وَيُعْطِيهِمْ مَزَايَا عَظِيمَةً.



(١) قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٢٢/ ٤٤١، ٤٤٢): (اِخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الَّذِي عُنِيَ بِهِ النَّوْرُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: عُنِيَ بِهِ الْقُرْآنُ، وَقَالَ آخَرُونَ: عُنِيَ بِالنُّورِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الْهُدَى) اهـ. بِتَصْرِفٍ.

وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي زَادِ الْمَسِيرِ (٤/ ٢٣٩): (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ نُورًا﴾ فِيهِ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: الْقُرْآنُ. رَوَاهُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وَالثَّانِي: نُورًا تَمَثَّلُونَ بِهِ عَلَى الصِّرَاطِ. رَوَاهُ أَبُو صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَالثَّالِثُ: الْهُدَى. قَالَهُ مُجَاهِدٌ. وَالرَّابِعُ: الْإِيمَانُ. قَالَهُ ابْنُ السَّائِبِ. اهـ.

وَانْظُرْ أَيْضًا: تَفْسِيرَ الْقُرْطُبِيِّ (١٧/ ٢٦٧)، وَابْنَ كَثِيرٍ (٨/ ٣٢)، وَتَفْسِيرَ الْبَغَوِيِّ (٨/ ٤٥)، وَالدِّرَ الْمُنْتَوْرَ لِلْسَيُوطِيِّ (٨/ ٦٧).

وَفِي الصَّحِيحِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أَجْرَاءً، فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ غُدْوَةٍ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ الْيَهُودُ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ النَّصَارَى، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنَ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ عَلَى قِيرَاطَيْنِ؟ فَأَنْتُمْ هُمْ، فَغَضِبَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، وَقَالُوا: مَا لَنَا أَكْثَرُ عَمَلًا وَأَقَلَّ أَجْرًا؟ قَالَ: هَلْ نَقَصْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ شَيْئًا؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَذَلِكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مِنْ أَشَاءٍ»^(١).

الشرح

هذا الحديث فيه فضل الإسلام، وأن أهله أعظم أجراً عند الله عزَّ وجلَّ من أهل الأديان السابقة، وهذا مثلٌ ضربه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوضح ذلك. «فَذَلِكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مِنْ أَشَاءٍ» لا حَجَرَ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿فَضَّلُ اللَّهُ يُؤْتِيهِ مِنْ يَشَاءٍ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾، لكنه لا يظلم أحداً، ولا ييخسه من حقه شيئاً؛ لأن الله حكَمٌ عادِلٌ، يجازي على العمل الصالح ويزيد، وهذه الزيادة فضلٌ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]، فهذا فضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فلا اعتراض على الله في تفضيله هذه الأمة على غيرها من الأمم؛ لأنه أعلم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بمواقع فضله ومَن يستحق الفضل، وأعلمُ بخلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالجزاء على العمل عدلٌ، والزيادة على الجزاء فضلٌ. وهذا الحديث فيه فضل الإسلام على غيره من الأديان.

(١) أخرجه البخاري (٢٢٦٨، ٢٢٦٩، ٣٤٥٩، ٥٠٢١، ٧٤٦٧، ٧٥٣٣).

وَفِيهِ أَيْضًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَضَلَّ اللَّهُ عَنِ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا، فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمَ السَّبْتِ، وَلِلنَّصَارَى يَوْمُ الْأَحَدِ، فَجَاءَ اللَّهُ بِنَا، فَهَذَا نَا لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَكَذَلِكَ هُمْ تَبَعَ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَحْنُ الْآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَالْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

الشرح

وهذا أيضًا فيه فضل الإسلام، وأن أهله أفضل الأمم يوم القيامة، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضَحَ ذلك بيوم الجمعة؛ فالله جَلَّ وَعَلَا جعل للأمم يومًا من الأسبوع يتفرغون فيه للعبادة:

فاليهود اختاروا يوم السبت، وقالوا: إنه اليوم الذي استراح الله فيه بزعمهم بعدما تعب من خلق السموات والأرض، حيث خلقها في ستة أيام، بدايتها يوم الأحد، ونهايتها يوم الجمعة، قالوا: ويوم السبت تفرغ الله فيه واستراح، فاعتبروه يومًا لعبادتهم! وقد كذبوا على الله؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]، أي: من تعب. وفي هذا ردٌّ على زعمهم الباطل بأن الله استراح يوم السبت.

أما النصارى فاختراروا يوم الأحد؛ قالوا: لأنه اليوم الذي ابتدأ الله جَلَّ وَعَلَا فيه الخلق، فهو اليوم الأول من الأيام الستة؛ فاختراروه لهذا السبب.

(١) أخرجه مسلم بلفظه (٢٢) (٨٥٦) من حديث أبي هريرة، وحذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. ورواه بنحوه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: البخاري (٨٧٦، ٨٩٦، ٣٤٨٦)، ومسلم (٢٠) (٨٥٥).

وأما هذه الأمةُ فالله جَلَّ وَعَلَا هو الذي اختار لها يوم الجمعة؛ لأنه أفضل الأيام؛ فيه تكاملُ الخلق، وفيه خُلِقَ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وفي أُخْرِجَ من الجنة، وفيه تقوم الساعة^(١)، فهو يوم عظيم؛ فاختره الله لهذه الأمة.

فاليهود والنصارى حَسَدُوا المسلمين على هذا، ولم يحْسُدوهم على شيءٍ مثَلُما حَسَدوهم على يوم الجمعة الذي اختَصَّ الله به المسلمين وأَصْلَ عنه اليهود والنصارى.

فهذا فيه فضلُ هذه الأمة، وفيه فضلُ يوم الجمعة، وأن الله تعالى اختار لهم يوم الجمعةَ لعلَّهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ هذا اليوم هو أفضل الأيام.



(١) أخرجه مسلم بلفظه (١٨) (٨٥٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ؛ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ».

وَفِيهِ تَعْلِيْقًا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ»^(١). انتهى.

الشرح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَفِيهِ) أي: في «صحيح البخاري» (تَعْلِيْقًا) الْمُعَلَّقُ: هو الذي يَذْكُرُهُ البخاري بدون سند، وهو على قسمين: مُعَلَّقٌ مجزومٌ به، أي: على سبيل الجزم، ومُعَلَّقٌ غيرُ مجزوم به^(٢). وقد حصر الإمام ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ المُعَلَّقاتِ التي في (البخاري)، وذكر أسانيدها في كتاب سماه «تغليق التعليق»، أي: ذكر الأسانيد التي علَّقها البخاري ولم يَذْكُرْها.

(عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ) هذا من التعليق المجزوم به. «الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ» (الْحَنِيفِيَّةُ) يعني: مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، و(السَّمْحَةُ) يعني: السهلة.

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠]، ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣]،

(١) أخرجه البخاري معلّقاً في صحيحه في كتاب الإيمان، باب الدين يسر، وروى نحوه موصولاً في الأدب المفرد (ص ١٠٨) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ولفظه: «سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْأَدْيَانِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ: الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ». وروى هذا اللفظ متصلاً مسنداً أيضاً: الإمام أحمد في المسند (٤/ ١٧)، وعبد بن حميد في مسنده (١٩٩/ ١)، والطبراني في الكبير (١١/ ٢٢٧). وانظر: تغليق التعليق للحافظ ابن حجر (٤١/ ٢).

(٢) انظر مبحث المعلق في: نزهة النظر (ص ٩٨)، وشرح نخبة الفكر (ص ٣٩١)، والنكت على ابن الصلاح (١/ ٣٢٣)، وتوضيح الأفكار (١/ ٢٦٧).

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [النساء: ١٢٥].

فالحنيف: هو المُقْبِلُ على الله، المُعْرِضُ عَمَّا سِوَاهُ (١)، فإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ كان مُقْبِلًا على الله، مُعْرِضًا عَمَّا سِوَاهُ مِنَ الْخَلْقِ.

والحنيفيَّة: مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهِيَ مِلَّةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٧].

اليهود ادَّعَوْا أَنْ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيٌّ! مَعَ أَنَّ التَّوْرَةَ مَا أُنْزِلَتْ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ؛ فَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَدَّةٌ طَوِيلَةٌ.

وكَذَلِكَ النَّصَارَى قَالُوا: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ نَصْرَانِيًّا! وَمَا جَاءَتِ الْيَهُودِيَّةُ وَالنَّصْرَانِيَّةُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ، فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رَدُّ عَلَيْهِمَ: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾.

فالحنيفيَّة مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَهِيَ أَحَبُّ الْأَدْيَانِ إِلَى اللَّهِ؛ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ أَحَبُّ الْأَدْيَانِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.



(١) انظر: مفتاح دار السعادة لابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ (١/ ١٧٤).

وَعَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِالسَّبِيلِ وَالسُّنَّةِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ عَلَى سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ فَمَسَّهُ النَّارُ أَبَدًا. وَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ عَلَى سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ ذَكَرَ الرَّحْمَنُ وَاقْشَعَرَ جِلْدُهُ مِنْ خَافَةِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا كَانَ مِثْلُهُ كَمِثْلِ شَجَرَةٍ يَسِرُّ وَرَقُهَا، فَبَيْتًا هِيَ كَذَلِكَ إِذَا أَصَابَتْهَا الرِّيحُ فَتَحَاتَّ عَنْهَا وَرَقُهَا، إِلَّا نَحَاتَتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ كَمَا نَحَاتَتْ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ وَرَقُهَا. وَإِنْ اقْتَصَادًا فِي سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ، خَيْرٌ مِنْ اجْتِهَادٍ فِي خِلَافِ سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ»^(١).

الشرح

هذا الأثر عن أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في فضل الإسلام.

يقول: إن الإنسان إذا كان على سبيل صحيح وعلى سُنَّةٍ ثابتة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذا إذا بكى من خشية الله فإنها لا تَمْسُهُ النار؛ لأنه خشي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وهو على سبيل وسُنَّةٍ؛ أي: على طريق صحيح.

أما لو خشي الله وهو على غير سُنَّةٍ -أي: على بدعة- فهذا لا ينفعه بكاءؤه ولا خشوعه ولا خشيته، وكثير من النصارى يكون وينحشعون لكنهم على غير هدى، بل على ضلال، وكثير من القبوريين والمبتدعة يكون بكاء

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٢/ ٢١)، والإمام أحمد في الزهد (١/ ١٦١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٢٢٤)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (١/ ٥٩)، وأبو نُعَيْم في الحلية (١/ ٢٥٢).

شديداً، ولكن لا يؤجرون على هذا البكاء، ولا ينفعهم عند الله؛ لأنهم ليسوا على سنة؛ فليست العبرة أن يبكي الإنسان ويخشع، وإنما العبرة بما هو عليه. ثم قال أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في آخر الكلمة: «وإنَّ اقْتِصَادًا فِي سَبِيلِ وَسُنَّةٍ، خَيْرٌ مِنْ اجْتِهَادٍ فِي خِلَافِ سَبِيلِ وَسُنَّةٍ».

هذا كلام عظيم، فالعمل اليسير وهو على سنة فيه خيرٌ كثير، أمّا الاجتهاد الكثير وهو على بدعة فهذا لا ينفع صاحبه ولو اجتهد الليل والنهار؛ لأنه على غير طريق السنة، فليست العبرة بكثرة العمل، ولا بكثرة البكاء، وإنما العبرة في الطريق الذي عليه الإنسان، العبرة باتباع الكتاب والسنة ولو كان العمل قليلاً؛ فهذا يكون على خير كثير، وعلى سبيل نجاة، وبكاؤه وخشوعه وخشيته تكون نجاةً له من النار.



وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «يَا حَبْدًا نَوْمُ الْأَكْيَاسِ وَإِفْطَارُهُمْ، كَيْفَ يَغْبُنُونَ سَهَرَ الْحَمَقَى وَصِيَامَهُمْ؟ وَلِمَثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنْ بَرٍّ مَعَ تَقْوَى وَيَقِينٍ، أَعْظَمُ وَأَفْضَلُ وَأَرْجَحُ مِنْ أَمْثَالِ الْجِبَالِ مِنْ عِبَادَةِ الْمُغْتَرِّينَ»^(١).

الشرح

أثر أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُشَبِّهُ أَثَرَ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مَعْنَاهُ تَمَامًا؛ أَنْ صَاحِبَ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ وَإِنْ كَانَ نَائِمًا، فَهُوَ خَيْرٌ مِنْ صَاحِبِ الْعَقِيدَةِ الْفَاسِدَةِ وَإِنْ كَانَ قَائِمًا يَصَلِّي الْنَافِلَةَ، وَصَاحِبِ السُّنَّةِ فِي نَوْمِهِ وَفِي إِفْطَارِهِ هُوَ عَلَى خَيْرٍ، وَصَاحِبِ الْبِدْعَةِ فِي سَهَرِهِ وَفِي صَوْمِهِ هُوَ عَلَى شَرٍّ؛ لِأَنَّهُ يَسِيرُ عَلَى غَيْرِ هَدًى.



(١) أخرجه الإمام أحمد في الزهد (ص ١١٣)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢١١)، وابن أبي الدنيا في اليقين (ص ٣٤)، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (٤٧/ ١٧٥) من طرق عن أبي سعيد الكندي، عمن أخبره عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ موقوفًا، وفي سنده مجهول. وذكره الدِّيْلَمِي في الفردوس (٥/ ٢٦٩)، وأبو الفرج في صفة الصفوة (١/ ٦٣٠). قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهذا من جواهر الكلام وأدله على كمال فقه الصحابة، وتقدمهم على من بعدهم في كل خير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ). انظر: الفوائد لابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ (ص ١٤١).

بَابُ وُجُوبِ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

الشرح

قال رحمه الله: (بَابُ وُجُوبِ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ)، لما ذكر فضل الإسلام، ذكر الترغيب في الدخول فيه، فالإسلام الذي هذه مزاياه، وهذه فضائله لا يليق بعاقل أن يرفضه وألا يدخل فيه إذا كان يريد النجاة لنفسه.

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ فالذين يقولون: (إنهم على دين، وإنهم يعرفون الله، ويعبدون الله) من اليهود والنصارى، ويأبؤون الدخول في الإسلام، ليسوا على دين؛ لأنهم على دين منسوخ انتهى العمل به؛ فلا يفيدهم شيئاً، لا يفيدهم إلا الدخول في الإسلام؛ فقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمَةِ: يَهُودِيٍّ، وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ؛ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»^(١)، وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»^(٢).

(١) سبق تخريجه (ص ١١).

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٨٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]) أما غيره
 فليس ديناً عند الله؛ لأنه بعد مجيء الإسلام لم يبقَ دينٌ يقبله الله سبحانه وتعالى من
 عباده؛ لأن الإنسان عبدٌ، والعبد يطيع ربّه عَزَّجَلَّ فيما أمره به، والله أمرُك أن
 تدخل في الإسلام؛ فيجب عليك الدخول في الإسلام طاعةً لله عَزَّجَلَّ؛ لأن
 الواجب اتِّباعُ الأمر لا اتِّباعُ الهوى، فهذا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما قبل
 الحَجَرَ الأسود قال: «أَمَّا وَاللَّهِ، لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ حَجَرٌ، لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ،
 وَلَوْ لَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ»^(١).

فتقبيل الحَجَر ليس عبادةً للحَجَر، وإنما هو عبادة لله تعالى، والطواف
 بالكعبة ليس عبادةً للكعبة، وإنما هو امتثالٌ لأمر الله عَزَّجَلَّ وعبادةً له، فالشأن
 يدور مع أمر الله وشرعه، ولا اعتراض على ذلك؛ فقد اعترض إبليس على
 أمر الله فكان مصيره الطرد والإبعاد واللعنة والغضب، والعياذ بالله.



(١) أخرجه البخاري (١٥٩٧)، ومسلم (٢٤٨) (١٢٧٠) من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ ﴿الْآيَةُ [الأنعام: ١٥٣]﴾. قَالَ مُجَاهِدٌ: «السُّبُلُ: الْبِدْعُ وَالشُّبُهَاتُ»^(١).

الشرح

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ الصراط: هو الطريق^(٢)، والمراد به هنا: الإسلام؛ فهو صراط الله عَزَّوَجَلَّ، وهو مستقيمٌ ليس فيه اعوجاج ولا انحراف، وإنما هو معتدلٌ؛ لا إفراط ولا تفريط.

﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾ لا تَتَّبِعُوا دِينًا غَيْرَ هَذَا الدِّينِ، ولا تَتَّبِعُوا سُنَّةَ غَيْرِ سُنَّةِ الرِّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَإِنَّ هَذَا صِرَاطِي، وهو سبيلي.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ تأمل: سبيل الله واحدة، وصراطٌ واحد، وأما غير سبيل الله فهي سُبُلٌ كثيرة؛ حب الأهواء، وحب الشهوات... كُلُّ لَهُ طَرِيقٌ، كُلُّ لَهُ سَبِيلٌ، كُلُّ لَهُ مَذْهَبٌ، والنَّهَايَةُ الْخُسَارَةُ ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾، أما من سار على هذا الطريق الواحد فإنه ينجو عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهذا فيه الأمرُ بسلوك سبيل الإسلام، وترك ما سواه من النَّحْلِ والتَّحَلُّ والبدع والمذاهب والفِرَق؛ فكلها تؤدي إلى الهلاك.

(١) أخرجه الدارمي (٢٠٩)، والمروزي في السنة (ص ١٢)، والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (١/ ١٨٤)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٩٣).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (١٢/ ٢٣٢)، ولسان العرب (٧/ ٣١٤).

(قَالَ مُجَاهِدٌ: «السُّبُلُ: الْبِدْعُ وَالشُّبُهَاتُ») البدع والشبهات هي من السُّبُل التي تتفرق بأصحابها ﴿كُلُّ حَزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣]، وهذا من تمام العقوبة: أن الإنسان يفرح بالباطل، فإذا فرح بالباطل فلن يتركه، أما الذي يسير على باطل ولم يفرح به فهذا ربما يبحث عن الحق ويهتدي إليه، لكن إذا سار مقتنعاً وفرح بالباطل فهذا لا يهتدي أبداً.



وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَحَدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ، فَهُوَ رَدٌّ». أَخْرَجَاهُ^(١). وَفِي لَفْظٍ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ»^(٢).

الشرح

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحَدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ، فَهُوَ رَدٌّ» يعني: مردودًا عليه، لا يُقبلُ عند الله.

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحَدَثَ فِي أَمْرِنَا» أي: أضاف إلى الدين إضافةً جديدة لم يأت بها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال: إن هذا خير، نقول له: بل هذا باطل؛ لأن الدين كامل؛ كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فلا تُقبلُ في الإسلام الإضافات والزوائد والاستحسانات؛ لأن الدين توقيفي.

إذن البدع كلها ليست من الإسلام، وإن كان أصحابها يتقربون بها إلى الله، ويظنون أن فيها أجرًا، لكنها ليس فيها أجرٌ، ولا تُقربُ من الله، بل تُبعد عن الله عَزَّ وَجَلَّ.



(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧) (١٧١٨) واللفظ له.
 (٢) أخرجه مسلم (١٨) (١٧١٨)، ورواه البخاري معلقًا في كتاب البيوع - باب النجش (٣٥٦/٤) مع الفتح)، وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ (٣١٧/١٣) مع الفتح).

وَلِلْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»^(١).

الشرح

هذا فيه الحثُّ على الدخول في الإسلام، فالذي يريد الجنة يدخل في الإسلام، والذي لا يريد الجنة لا يدخل في الإسلام بأن يتبع المذاهب الأخرى والأديان الأخرى، ومأله إلى النار؛ فليس للجنة طريقٌ إلا الإسلام الذي جاء به هذا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومعلوم أن الذي يتمسك بالإسلام يلقي أذى ومشقةً من الناس، لكن عليه أن يصبر، وخصوصًا في آخر الزمان إذا كثرت الفتن، فالتمسك بالدين يكون كالمقابض على الجمر؛ لشدة ما يلقي في سبيل ذلك من المشقة والأذى.

أما البدع فليس فيها تعب؛ لأنها توافق الأهواء والشهوات، ولأن الناس لا يعترضون عليه، وصاحبها ولو تعب فإنه يتلذذ؛ لأن الشيطان يزيّن له هذا الشيء، لكن مأها إلى النار.



وَفِي الصَّحِيحِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ ثَلَاثَةٌ: مُلْحِدٌ فِي الْحَرَمِ، وَمُبْتَغٍ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَمُطَلِّبُ دَمِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ لِيُهْرِيَقَ دَمُهُ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ^(١).

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَوْلُهُ: «سُنَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ» يَنْدَرِجُ فِيهَا كُلُّ جَاهِلِيَّةٍ مُطْلَقَةٍ أَوْ مُقَيَّدَةٍ، أَيُّ: فِي شَخْصٍ دُونَ شَخْصٍ، كِتَابِيَّةٍ أَوْ وَثْنِيَّةٍ، أَوْ غَيْرِهِمَا مِنْ كُلِّ مُحَالَفَةٍ لِمَا جَاءَ بِهِ الْمُرْسَلُونَ)^(٢).

الشرح

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ ثَلَاثَةٌ» فيه إثبات البغض لله سبحانه وتعالى؛ فهو جَلَّ وَعَلَا يُبْغِضُ أَهْلَ الشَّرِّ وَأَهْلَ الْكُفْرِ، وَيُحِبُّ أَهْلَ الْخَيْرِ وَأَهْلَ الْإِيمَانِ.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مُلْحِدٌ فِي الْحَرَمِ» الإلحاد: هو الميل^(٣)، والمراد به: الميل عن طاعة الله إلى معصيته.

والإلحاد محرم في كل وقت، وفي كل مكان، ولكن الإلحاد في الحرم أشد؛ فهو حرم الله عزَّ وجلَّ، الذي أمر الله عزَّ وجلَّ أن يحترم، وأن يؤمِّنَ النَّاسُ فيه، ولا يُعْتَدَى عَلَى أَحَدٍ، حَتَّى الطُّيُورَ وَالصَّيْدَ لَا تُنْفَرُ، وَحَتَّى الْحَلَا -الذي

(١) أخرجه البخاري (٦٨٨٢).

(٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/٢٥٩).

(٣) انظر معنى الإلحاد في: النهاية في غريب الأثر (٤/٢٣٦)، ولسان العرب (٣/٣٨٩)، وختار الصحاح (ص ٢٤٧).

هو العُشب - لا يُقطع، وكذلك الشجر لا يقطع في الحرم^(١)، فكيف بدماء
الآدميين والاعتداء عليهم؟! وأشدُّ من ذلك الشرك في الحرم، ودعاء غير الله
عَزَّوَجَلَّ، والبدع والمُحَدَّثَات في الحرم؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَامِ
يُظْلَمِ نَفْسَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥]، فمجرَّد الإرادة، لو نوى في قلبه أنه
يريد أن ينفذ شيئاً في الحرم؛ فإن الله يذيقه العذاب الأليم، حتى ولو ما نفذ،
فكيف إذا نفذ؟! فالأمر أشد والعياذ بالله؛ لأن الحرم أمره عظيم.

والمراد بالحَرَم: ما كان داخل الأُميال المحيطة بمكة من جميع الجوانب.
وهو الذي لا يُنْفَرُ صَيْدُهُ، ولا يُحْتَلَى خَلَاهُ، ولا تُلْتَقَطُ لُقْطَتُهُ إِلَّا لِمُنْشِدٍ،
ولا يُعْتَدَى فيه على أحد؛ لا في عِرْضِهِ، ولا في دَمِهِ، ولا في مَالِهِ؛ لأن من دخله
كان آمناً ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَنْخَطِفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾
[العنكبوت: ٦٧]، ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجِبْنَ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾
[القصص: ٥٧].

كان الناس في الجاهلية - وهم أهل شرٍّ وأهل قتال وغارات ونهب
وسلب - كانوا إذا دخلوا الحرم آمِنوا، حتى إن أحدهم كان يلقي قاتل أبيه فلا
يُهَيِّجُهُ حتى يخرج من الحرم. هذا وهم أهل جاهلية، فكيف بأهل الإسلام؟!
فمن اعتدى في الحرم فإن الله جَلَّ وَعَلَا تَوَعَّدَهُ بالعذاب الأليم.

(١) أخرجه البخاري (١٣٤٩)، ومسلم (٤٤٥) (١٣٥٣) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «حَرَّمَ اللَّهُ مَكَّةَ فَلَمْ تَحِلْ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَلَا لِأَحَدٍ بَعْدِي، أُحِلَّتْ لِي سَاعَةٌ مِنْ
نَهَارٍ، لَا يُحْتَلَى خَلَاهَا، وَلَا يُعْصَدُ شَجَرُهَا، وَلَا يُنْفَرُ صَيْدُهَا، وَلَا تُلْتَقَطُ لُقْطَتُهَا إِلَّا لِمُعْرِفٍ.
فَقَالَ الْعَبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَّا الْإِذْخَرَ لَصَاغَتِنَا وَقُبُورِنَا؟ فَقَالَ: إِلَّا الْإِذْخَرَ».

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمُبْتَغٍ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ»، هذا هو محل الشاهد، فالذي يأتي بعبادات الجاهلية ويجعلها من الإسلام، هذا يُبغضه الله أشدَّ البُغض.

والمراد بالجاهلية: ما قَبْلَ الإسلام، وهو زمن الفترة من الرسل. سُمِّيَ بالجاهلية؛ لأنه ليس فيه كتابٌ ولا رسول^(١).

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمُطْلَبُ دَمِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بغيرِ حَقٍّ لِيُهِرِقَ دَمَهُ» هذه هي الجريمة الثالثة التي يُبغض الله أصحابها، وهي جريمة الاعتداء على الأبرياء، الذين يعتدون على الأبرياء ليقتلوهم، سواءً كان هؤلاء الأبرياء مسلمين أو معاهدين من الذين عصم الله دماءهم، فمن أراد أن يقتل معصوم الدم الذي أَمَنَهُ الإسلام وأعطاه الأمان واعتدى عليه؛ فإن الله يبغضه أشدَّ

(١) قال ابن منظور: (جَهْلٌ: الجَهْلُ: نَقِيضُ الْعِلْمِ، وَقَدْ جَهِلَهُ فُلَانٌ جَهْلًا وَجَهْلًا، وَجَهْلٌ عَلَيْهِ. وَتَجَاهَلَ: أَظْهَرَ الْجَهْلَ؛ عَنْ سَيِّبٍ. الْجَوْهَرِيُّ: تَجَاهَلَ: أَرَى مِنْ نَفْسِهِ الْجَهْلَ وَلَيْسَ بِهِ. وَاسْتَجْهَلَهُ: عَدَهُ جَاهِلًا وَاسْتَحْفَهُ أَيْضًا. وَالتَّجْهِيلُ: أَنْ تَنْسُبَهُ إِلَى الْجَهْلِ، وَجَهْلٌ فُلَانٌ حَقٌّ فُلَانٌ، وَجَهْلٌ فُلَانٌ عَلَيَّ، وَجَهْلٌ بِهَذَا الْأَمْرِ. وَالْجَهْلَاءُ: أَنْ تَفْعَلَ فِعْلًا بِغَيْرِ الْعِلْمِ. ابْنُ سُمَيْلٍ: إِنْ فُلَانًا لَجَاهِلٌ مِنْ فُلَانٍ؛ أَيُّ: جَاهِلٌ بِهِ. وَرَجُلٌ جَاهِلٌ، وَالْجَمْعُ: جُهْلٌ، وَجُهْلٌ، وَجُهْلٌ، وَجُهْلٌ، وَجُهْلَاءُ؛ عَنْ سَيِّبٍ، قَالَ: شَبَّهُوهُ بِفَعِيلٍ كَمَا شَبَّهُوا فَاعِلًا بِفَعُولٍ؛ قَالَ ابْنُ جَنِّي: قَالُوا جُهْلَاءُ كَمَا قَالُوا عُلَمَاءُ؛ مَخْلَا لَهُ عَلَى ضِدِّهِ. وَرَجُلٌ جَهُولٌ: كَجَاهِلٍ، وَالْجَمْعُ: جُهْلٌ، وَجُهْلٌ). انظر: لسان العرب (١١/ ١٢٩)، وقال ابن فارس: (جهل) الْجِيمُ وَالْهَاءُ وَاللَّامُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا خِلَافُ الْعِلْمِ، وَالْآخَرُ الْخِفَةُ وَخِلَافُ الطَّمَأْنِينَةِ، فَالْأَوَّلُ الْجَهْلُ نَقِيضُ الْعِلْمِ. وَيُقَالُ لِلْمَقَارَةِ الَّتِي لَا عِلْمَ بِهَا: مَجْهَلٌ. انظر: معجم مقاييس اللغة (١/ ٤٨٩)، وتهذيب اللغة (٦/ ٣٧).

البغض، وعقوبته عند الله أشد؛ لأن الله حَرَّمَ قتل الأنفس بغير حق؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]، وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا، ثُمَّ يَرِخَ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ»^(١).

فالدِّمُّ المعصوم لا يجوز الاعتداء عليه، والاعتداء عليه من أكبر الجرائم؛ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ۖ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ) يعني شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ فَسَّرَ سُنَّةَ الجاهلية، فَبَيَّنَ أَنَّ هَذَا عَامٌّ فِي الجاهلية العامة والجاهلية الفردية؛ لأن الجاهلية قد تكون في مجتمع وقبيلة، وقد تكون في فرد من الأفراد، فلما عَيَّرَ رجل من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجلاً آخرَ منهم بسواده، وأنه ابن سوداء أو ابن مملوكة، فقال له: (يا ابن السوداء)؛ قال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَعَيَّرْتَهُ بِأَمَةٍ؟ إِنَّكَ أَمْرُؤُ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ»^(٢). مع أن هذا الرجل الذي قال ذلك هو أبو ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، من أفاضل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لكن لما قال هذه الكلمة عَدَّهَا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أمور الجاهلية؛ لأن المسلمين إخوة

(١) أخرجه البخاري (٣١٦٦، ٦٩١٤) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري (٣٠)، ومسلم (١٦٦١).

«لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى»^(١).

(قَوْلُهُ: «سُنَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ»: يَنْدَرِجُ فِيهَا كُلُّ جَاهِلِيَّةٍ؛ مُطْلَقَةً أَوْ مُقَيَّدَةً، أَيْ: فِي شَخْصٍ دُونَ شَخْصٍ) (مُطْلَقَةً) يَعْنِي: عَامَّةً فِي قَبِيلَةٍ أَوْ فِي بَلَدٍ، أَوْ (مُقَيَّدَةً) بِشَخْصٍ.

(كِتَابِيَّةٌ أَوْ وَثْنِيَّةٌ، أَوْ غَيْرُهُمَا مِنْ كُلِّ مُحَالَفَةٍ لِمَا جَاءَ بِهِ الْمُرْسَلُونَ) هَذَا تَفْسِيرٌ لِلجَاهِلِيَّةِ؛ أَنَّهَا: كُلُّ مَا عَلَيْهِ الْكُفْرُ قَبْلَ الْبَعْثَةِ، سِوَاءَ كَانُوا مِنَ الْيَهُودِ، أَوْ مِنَ النَّصَارَى، أَوْ مِنَ الْمَجُوسِ، أَوْ مِنَ الْوَثْنِيِّينَ.



وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْقُرَّاءِ، اسْتَقِيمُوا، فَإِنْ اسْتَقَمْتُمْ فَقَدْ سَبَقْتُمْ سَبْقًا بَعِيدًا، فَإِنْ أَخَذْتُمْ يَمِينًا وَشِمَالًا فَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا»^(١).

الشرح

هذا الأثر عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه كان يدخل المسجد، ويقف على حلق التدريس؛ أي: على الذين يتعلمون القرآن في المسجد، فيقول لهم: «إِنْ اسْتَقَمْتُمْ فَقَدْ سَبَقْتُمْ سَبْقًا بَعِيدًا» أي: إن استقمتم على القرآن الذي تدرسون به بالعمل به؛ لأن المقصود هو التمسك بالقرآن والعمل به، أما الذي يقرأ القرآن ولكنه لا يتخلق به، فهذا قد انحرف عن القرآن، فالقرآن هو الصراط المستقيم الذي من تمسك به نجا، ومن حاد عنه هلك وضلَّ.

وهذا الأثر فيه التذكير من حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للقراء أنهم لا يقتصرون في قراءة القرآن على جودة التلاوة وحسن الصوت دون نظر إلى تدبره والعمل به والتخلق بأخلاقه، فمن فعل ذلك لا يُعتبر من أهل القرآن، أمّا الذي يتخلق بالقرآن ويتأدّب بأدابه، فهو من أهل القرآن، ولو كان عاميًا لا يقرأ القرآن.



وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ وَضَّاحٍ: «أَنَّهُ كَانَ يَدْخُلُ الْمَسْجِدَ، فَيَقِفُ عَلَى الْحَلَقِ
فَيَقُولُ: ... فَذَكَرَهُ^(١). وَقَالَ: أَبَانَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ مُجَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ
عَامِرِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ -يَعْنِي: ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-:
«لَيْسَ عَامٌ إِلَّا وَالَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، لَا أَقُولُ: عَامٌ أَمْطَرُ مِنْ عَامٍ، وَلَا عَامٌ
أَخْصَبُ مِنْ عَامٍ، وَلَا أَمِيرٌ خَيْرٌ مِنْ أَمِيرٍ؛ لَكِنْ ذَهَابُ عِلْمَائِكُمْ وَخِيَارِكُمْ، ثُمَّ
يَخْدُثُ أَقْوَامٌ يَقْيِسُونَ الْأُمُورَ بِآرَائِهِمْ؛ فَيُهْذِمُوا الْإِسْلَامَ وَيُثْلِمُوا»^(٢).

الشرح

(مُحَمَّدُ بْنُ وَضَّاحٍ) من العلماء الذين صنفوا في بيان البدع؛ فله كتابٌ
مطبوع في البدع اسمه: (البدع والنهي عنها).

وهذا الأثر عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من رواية محمد بن وضاح، أنه أخبر
أن الناس لا يزالون في نقص؛ كل عام يكون أنقص من الذي قبله، وهذا كما
جاء في حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما جاؤوا يشكون إليه الحجاج، وما يلقون من
الظلم، قال: «اصْبِرُوا؛ فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، حَتَّى
تَلْقَوْا رَبَّكُمْ. سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»^(٣).

(١) انظر: البدع لابن وضاح (ص ٣٦).

(٢) انظر: البدع لابن وضاح (ص ٧٠).

والأثر أخرجه الدارمي (١٩٤)، والطبراني في الكبير (١٠٥/٩)، والبيهقي في المدخل
إلى السنن الكبرى (١/١٨٦)، وأبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن (٣/٥١٧)،
وابن حزم في الإحكام (٨/٥٠٩)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/١٨٠) وقال:
«وفيه مجالد بن سعيد، وقد اختلط». وانظر: كشف الخفاء للعجلوني (٢/١٦١).

(٣) أخرجه البخاري (٧٠٦٨).

فكلما تأخَّرَ الوقت زاد الشرُّ، وهذا يقتضي أن يكون الإنسان على حذر من الفتن والشرور.

ثم أخبر في آخر الأثر أنه إذا مات العلماء والأخيار، يأتي من بعدهم أناسٌ جهَّالٌ، يُحَكِّمُونَ عقولهم ومقاييسهم؛ لأنه ليس عندهم علمٌ، وهذا يُضِلُّ الأُمَّةَ ويسبِّبُ هلاكها؛ لأن هؤلاء الجهَّال لا يُحسنون الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ إذ هما الأساس في التشريع، وكما جاء في الحديث: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»^(١).

فوجود العلماء علامة خير، وفقدانهم علامة شرٍّ، ووجود أناسٍ في هذا الزمان يزهدون بالعلماء ويحقِّرونهم ويتكلمون في أعراضهم، هذا من علامات الساعة، ومن علامات النقص من الإسلام.



(١) أخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم (١٣) (٢٦٧٣) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

بَابُ: تَفْسِيرِ الْإِسْلَامِ

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ... ﴾
الآية [آل عمران: ٢٠].

الشرح

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (بَابُ: تَفْسِيرِ الْإِسْلَامِ) بعدما أورد الأبواب السابقة في الحث على الإسلام، والدخول فيه، والتمسك به، أراد أن يبين ما هو الإسلام؛ لأن كونك تمدح الشيء ولا تبيّنه لا يحصل المقصود؛ فلا بد أن يبين ما هو الإسلام؛ لكي لا يدّعي أحد أن ما هو عليه هو الإسلام، وهو مخالف للإسلام، فكل الفرق تدّعي كل واحدة منها أنها على الإسلام، وأن غيرها ليس هو على الإسلام، ولو تركنا الأمر لهؤلاء هلكت الأمة، لكن من فضل الله سبحانه أن جعل الإسلام واضحاً بيّناً، فليس الإسلام بالدعوى والانتماء والانتساب، ولكن المسلم من تمسك بالإسلام الحقيقي، فلا بد أن تعرف الإسلام مما جاء في كتاب الله عَزَّجَلَّ وسنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا من غيرهما.

(وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ ... ﴾ الْآيَةُ) أي: النصارى. وهذا فيه بيان لمعنى الإسلام: أنه إسلام الوجه لله، وإخلاص النية له سبحانه، والبراءة من الشرك.

أما من كان عنده شيءٌ من الشرك كدعوة الأموات والقبور، ويقول: (أنا مسلم) فهذا ليس بمسلم؛ لأنه ما أسلمَ وجهه لله، بل أسلم وجهه لغير الله؛ يدعو غير الله، يذبح لغير الله، ينذر لغير الله.

﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [البقرة: ١١٢] فقلوه: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾: هذا التوحيد، وقوله: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: أي مُتَّبِعٌ للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن متابعة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بها يتحقق الإسلام، فالإسلام: هو الإخلاص لله، والمتابعة للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْإِسْلَامُ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»^(١).

الشرح

ذكر الشيخ رحمه الله هذا الحديث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه يفسر فيه الإسلام بأنه الإتيان بهذه الأركان الخمسة.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْإِسْلَامُ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ»، وليس معنى ذلك التلفظ فقط، لا، بل باللفظ، وبالنية، وبالعمل؛ فلا بد من التلفظ بالشهادة، ومن العلم بمعناها، والعمل بمقتضاها حتى تكون شهادةً صحيحة^(٢)، فشهادة (أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) تعني: الإخلاص لله، وترك

(١) أخرجه مسلم (٨) من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. كما أخرج نحوه البخاري (٥٠)، (٤٧٧٧)، ومسلم (٩، ١٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بلفظ: «الْإِسْلَامُ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ».

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٤/ ١٦٨، ١٦٩)، ومدارج السالكين (٣/ ٤٥٠، ٤٥١)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص ٨٩، ٩٠).

قال ابن القيم رحمه الله: (فَتَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: أَجَلَ شَهَادَةٍ، وَأَعْظَمَهَا، وَأَعْدَلَهَا، وَأَصْدَقَهَا، مِنْ أَجَلِّ شَاهِدٍ، بِأَجَلِّ مَشْهُودٍ بِهِ، وَعِبَارَاتُ السَّلَفِ فِي (شَهَدَ) تَدُورُ عَلَى الْحُكْمِ وَالْقَضَاءِ، وَالْإِعْلَامِ وَالْبَيَانِ، وَالْإِخْبَارِ، قَالَ مُجَاهِدٌ: حَكَمَ، وَقَصَى، وَقَالَ الزَّجَّاجُ: بَيَّنَّ، وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: أَعْلَمَ وَأَخْبَرَ، وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ كُلُّهَا حَقٌّ لَا تَنَافٍ بَيْنَهَا؛ فَإِنَّ الشَّهَادَةَ تَتَضَمَّنُ كَلَامَ الشَّاهِدِ وَخَبَرَهُ وَقَوْلَهُ، وَتَتَضَمَّنُ إِعْلَامَهُ وَإِخْبَارَهُ وَبَيَانَهُ؛ فَلَهَا أَزْبَعُ مَرَاتِبَ:

الشرك، وشهادة (أنَّ محمدًا رسول الله) تعني: المتابعة للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وترك البدع والمحدثات، فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو القدوة، فلا يُتبع غيره ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، أما المنافقون فهم يشهدون أن محمدًا رسول الله بألسنتهم، لكن يكفرون به في قلوبهم وأفعالهم ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ [المنافقون: ١-٢]. أيانهم يعني: الشهادة، فسأها يمينًا. ﴿جُنَّةً﴾ أي: سترة يتسترون بها، وهم لا يؤمنون بأنه رسول الله في قلوبهم، وإن كانوا يتلفظون بذلك في ألسنتهم؛ فدلَّ على أن المطلوب ليس هو اللفظ فقط، بل اللفظ والاعتقاد والعمل.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ» الصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام، فالذي يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، لكن لا يقيم الصلاة، بل هو تارك لها متعمدًا؛ فهذا ليس بمسلم.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ» كذلك لا بد مع الصلاة من أداء الزكاة؛ لأن الزكاة قرينة الصلاة، فمن فرَّق بين الصلاة والزكاة -أي: أنه

= فَأَوَّلُ مَرَاتِبِهَا: عِلْمٌ، وَمَعْرِفَةٌ، وَاعْتِقَادٌ لِصِحَّةِ الْمَشْهُودِ بِهِ، وَتُبُوته.

وثانيها: تَكَلُّمُهُ بِذَلِكَ، وَنُطْقُهُ بِهِ، وَإِنْ لَمْ يُعْلَمْ بِهِ غَيْرُهُ، بَلْ يَتَكَلَّمُ بِهِ مَعَ نَفْسِهِ وَيَذْكُرُهَا، وَيَنْطِقُ بِهَا أَوْ يَكْتُبُهَا.

وثالثها: أَنْ يُعْلِمَ غَيْرَهُ بِمَا شَهِدَ بِهِ، وَيُخْبِرَهُ بِهِ، وَيُسَيِّئَهُ لَهُ.

ورابعها: أَنْ يُلْزِمَهُ بِمَضْمُونِهَا وَيَأْمُرَهُ بِهِ.

فشهادة الله سبحانه لنفسه بِالْوَحْدَانِيَّةِ، وَالْقِيَامِ بِالْقِسْطِ: تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْمَرَاتِبَ الْأَرْبَعَةَ: عِلْمَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بِذَلِكَ، وَتَكَلُّمَهُ بِهِ، وَإِعْلَامَهُ، وَإِخْبَارَهُ لِحَلْفِهِ بِهِ، وَأَمْرَهُمُ وَإِلْزَامَهُمُ بِهِ) اهـ

يصلي، لكنه لا يؤدي الزكاة- هذا أيضًا ليس بمسلم؛ فقد قاتل أبو بكر الصديق رضي الله عنه مانعي الزكاة، وقال رضي الله عنه: «والله، لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة»^(١).

قال صلى الله عليه وسلم: «وتصوم رمضان» هذا هو الركن الرابع، وهو صيام شهر رمضان، فالذي يترك الصيام، ويقول: (إنه ليس بلازم)؛ فهذا ليس بمسلم.

قال صلى الله عليه وسلم: «وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً» فمن كان عنده استطاعة للحج ولم يحج، ويقول: (إنه ليس بلازم)؛ فهذا يكفر؛ ولهذا قال: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]، أما إذا اعترف بوجوب الحج، ولكنه لم يحج تكاسلاً؛ فهذا يلزمه ولي الأمر بالحج.



(١) أخرجه البخاري (١٣٩٩، ١٤٥٧، ٦٩٢٤، ٧٢٨٤)، ومسلم (٢٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم، واستخلف أبو بكر، وكفر من كفر من العرب، قال عمر: يا أبا بكر، كيف تقاتل الناس، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله، فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله؟ قال أبو بكر: والله، لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة؛ فإن الزكاة حق المال، والله، لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها. قال عمر: فوالله، ما هو إلا أن رأيت أن قد شرع الله صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق».

وَفِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»^(١).

الشرح

أي ليس الإسلام مقصوراً على هذه الأركان، بل هذه الأركان هي الأساسات، فالإسلام هو كل الطاعات التي أمر الله بها، أو أمر بها رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذه الأوامر منها ما هو واجب، ومنها ما هو مستحب، فكلها من الإسلام، ومنها ما يزول الإسلام بتركه، ومنها ما لا يزول الإسلام بتركه وإنما ينقص؛ يعني: منها ما يكمل الإسلام الكمال الواجب، ومنها ما يكمل الإسلام الكمال المستحب؛ فالواجبات من الطاعات تكمل الإسلام الكمال الواجب، والمستحبات تكمل الإسلام الكمال المستحب؛ ولهذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»، فالذي يكفُّ أذاهُ عن الناس فهو مسلمٌ كاملٌ الإسلام، أما الذي يؤذي الناس بلسانه أو يده، لا نقول: إنه كافر، ولكنه مسلم ناقصٌ الإسلام.



(١) هذا الحديث ورد بألفاظ متقاربة في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو، وجابر، وأبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو عند البخاري برقم (١٠، ١١، ٦٤٨٤)، ومسلم (٤٠، ٤١)، (٤٢). وأخرجه الترمذي (٢٦٢٧)، والحاكم في المستدرک (١/ ٥٤)، والطبراني في مسند الشاميين (٣/ ٣٠٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَعَنْ هِزْرِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ: «أَنْ تُسَلِّمَ قَلْبَكَ لِلَّهِ تَعَالَى، وَأَنْ تُؤْتِيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ». رَوَاهُ أَحْمَدُ^(١).

الشرح

هذا معقول من قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ تُحَمِّدَ رَسُولَ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ»، فذكر هنا أهم أركان الإسلام؛ وهي: الشهادتان، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وكما جاء في حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا بَعَثَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْيَمَنِ، قَالَ لَهُ: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ - وَفِي رِوَايَةٍ: إِلَى أَنْ يُوحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى -، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَى هِمَّ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَى هِمَّ صَدَقَةٍ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَاءِهِمْ، فَتَرُدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ»^(٢)، فذكر أهم أركان الإسلام الخمسة، وهي هذه الثلاثة.



(١) أخرجه أحمد (٢٢٥/٣٣)، وابن حبان (٣٧٦/١)، والطبراني في الكبير (٤٢٦/١٩) من حديث هيزر بن حكيم عن أبيه عن جده، وأخرج نحوه النسائي في الكبرى (٢٢٢٧)، والحاكم في المستدرک (٦٤٣/٤).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٩٥، ١٤٩٦، ٢٤٤٨، ٤٣٤٧، ٧٣٧١، ٧٣٧٢)، ومسلم (٢٩). (١٩).

وَعَنْ أَبِي قِلَابَةَ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: «أَنْ تُسَلِّمَ قَلْبَكَ لِلَّهِ، وَيُسَلِّمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِكَ وَيَدِكَ». قَالَ: أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الْإِيمَانُ». قَالَ: وَمَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُبْعْتَ بَعْدَ الْمَوْتِ»^(١).

الشرح

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْ تُسَلِّمَ قَلْبَكَ لِلَّهِ» هذا كما في الآية: ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ٢٠]، وكما في قوله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١١٢]، وهذا فيه إخلاص العبادة لله، وترك عبادة ما سواه، وهذا هو أساس الإسلام.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيُسَلِّمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِكَ وَيَدِكَ» كما مرَّ في الحديث: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ».

«قَالَ: أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: الْإِيمَانُ»؛ لأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ جعل الإيمان فوق الإسلام وأخصَّ.

(قَالَ: وَمَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُبْعْتَ بَعْدَ الْمَوْتِ)، وهذه - كما في حديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ المتقدم - تُسَمَّى

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٨/٢٥١)، وعبد الرزاق في مصنفه (١١/١٢٧)، وعبد بن حميد في مسنده (ص ١٢٤)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢/٦٠٤)، وابن عبد البر في التمهيد (٩/٢٤٦)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/٤٩٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/٢٥٥).

أركان الإيمان، فكما أن الإسلام له أركان، فكذلك الإيمان له أركان، والإسلام أوسع من الإيمان، والإيمان له مكمّلاتٌ واجبةٌ ومستحبةٌ؛ ولهذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بَضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، أَعْلَاهَا: قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا: إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»^(١)، فالطاعات كلّها من الإيمان، القولية منها والفعلية، وليس الإيمان هو التصديق بالقلب فقط - كما يقول المرجئة -، بل الإيمان: نُطْقٌ باللسان، وتصديق بالقلب، وعملٌ بالجوارح.



(١) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥) واللفظ له، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

الشرح

هذا الباب فيه بيان أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي لا يقبل الله من أحد سواه.

والإسلام هو ما جاءت به الرسل -عليهم الصلاة والسلام-، في كل وقت بحسبه، لكن لما بُعث محمدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صار الإسلام هو ما جاء به محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فالإسلام معناه: الانقياد لله بالطاعة، والبراءة من الشرك، وعبادته حسب ما شرع في كل وقت^(١)، أما بعد بعثة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فصار الإسلام هو ما جاء به محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يسعُ أحدًا أن يخرج عن طاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتى الأنبياء السابقين، لو وُجد أحد منهم بعد بعثة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه لا يسعه أن يخرج عن طاعة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ولهذا قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ ﴿يعني: محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴾ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا

(١) انظر: تفسير الطبري (٨/ ٨٤)، ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ (٢٣٩/٥).

وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾
 [آل عمران: ٨١-٨٢]؛ فبعد بعثة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انتهت الأديان السابقة،
 وانتهى العمل بها، ووجب العمل بما جاء به محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن الأمر
 لله جَلَّ وَعَلَا، وليس الأمر لشخص معيّن، ولا للأهواء والشهوات والرغبات،
 فالله أمركم وأمر الأنبياء كلّهم أن يطيعوا محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا بُعث، حتى
 عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إذا نزل في آخر الزمان فإنه سيتبع محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويحكم
 بشريعة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ولهذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ
 كَانَ مُوسَى حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي»^(١).

ففيه ردٌّ على الذين يَدَّعون في هذا الزمان أن اليهودية والنصرانية
 والإسلام كلها أديانٌ صحيحة، ويُنكرون علينا تكفير اليهود والنصارى؛
 لأنهم عندهم على أديانٍ صحيحة ويتبعون الأنبياء! ولو كانوا يتبعون الأنبياء،
 لا تَبَّعُوا محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن الذي يكفر بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه كافر
 بجميع الأنبياء، ولم يبقَ معه دينٌ، وليس تابِعاً لأحد من الأنبياء، فاليهود الآن
 ليسوا أتباعاً لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولا النصارى أتباعاً لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لأن فترة
 الأنبياء انتهت ببعثة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالذي يبقى على اليهودية أو النصرانية
 فإنه كافر؛ لأنه عصى موسى، وعصى عيسى، وعصى محمداً -عليهم الصلاة
 والسلام-، ولا يمكن أن يكون على الحق؛ لأن موسى وعيسى يأمرانه باتباع
 محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يفعل.

(١) أخرجه أحمد (٣٤٩/٢٣)، والدارمي في سننه (٤٤٩)، وأبو يعلى (١٠٢/٤)،
 وعبد الرزاق في مصنفه (١١٣/٦)، وابن أبي شيبة (٣١٢/٥)، وابن أبي عاصم في السنة
 (٢٧/١)، والبيهقي في شعب الإيوان (٣٤٧/١) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَجِيءُ الْأَعْمَالُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَتَجِيءُ الصَّلَاةُ فَتَقُولُ: يَا رَبِّ أَنَا الصَّلَاةُ، فَيَقُولُ: إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ، فَتَجِيءُ الصَّدَقَةُ فَتَقُولُ: يَا رَبِّ أَنَا الصَّدَقَةُ، فَيَقُولُ: إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ، ثُمَّ يَجِيءُ الصِّيَامُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَنَا الصِّيَامُ، فَيَقُولُ: إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ، ثُمَّ تَجِيءُ الْأَعْمَالُ عَلَى ذَلِكَ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ، ثُمَّ يَجِيءُ الْإِسْلَامُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَنْتَ السَّلَامُ وَأَنَا الْإِسْلَامُ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ، بِكَ الْيَوْمَ أَخُذُ، وَبِكَ أُعْطِي. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. رَوَاهُ أَحْمَدُ^(١).

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ عَمَلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ». رَوَاهُ أَحْمَدُ^(٢).

الشرح

حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واضح بأنه لا يُحتسب عند الله يوم القيامة إلا الإسلام، وما عداه من الأديان فهو باطل مردود، ولا ينفع أصحابه؛ ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، فالذين ماتوا قبل بعثة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهم يتبعون أنبياءهم فهم على الإسلام،

(١) أخرجه أحمد (٣٥٥/١٤)، وأبو يعلى (١٠٤/١١)، والطبراني في الأوسط (٣١٧/٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (١٨) (١٧١٨)، ورواه البخاري معلقاً في كتاب البيوع - باب النجش (٣٥٦/٤) مع الفتح، وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ (٣١٧/١٣) مع الفتح، وأحمد (٦٢/٤٢).

لكن بعد بعث محمد ﷺ، فليس الإسلام إلا ما جاء به ﷺ. ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾.

وكذلك حديث عائشة: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ»؛ فإنه يبين أنه لا دين إلا ما جاء به الرسول ﷺ، وأن من عمل عملاً مخالفاً للنبي ﷺ، أو لم يأت به النبي ﷺ؛ فهو مردود، والذي يعمل على اليهودية، أو يعمل على النصرانية، أو يحدث أشياء وبدعاً من عنده ويعمل بها على أنها قُرْبَاتٌ وطاعات، دون دليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ فهو مردود على صاحبه كائناً من كان، يهودياً أو نصرانياً أو مبتدعاً مسلماً.

فالإسلام فقط هو ما جاء به محمد ﷺ: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَحْدُوهُمْ، مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]؛ فدلَّ على أن الذين لا يتبعون محمداً ﷺ لا يفلحون أبداً، وأنهم خاسرون.



بَابُ وُجُوبِ الْإِسْتِغْنَاءِ

بِمُتَابَعَةِ الْكِتَابِ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].
وَرَوَى النَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّهُ رَأَى فِي يَدِ عُمَرَ بْنِ
الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَرَقَةً مِنَ التَّوْرَةِ، فَقَالَ: «أَمْتَهُوْكُمْ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ! لَقَدْ
جِئْتُكُمْ بِهَا بَيَضَاءَ نَقِيَّةٍ، وَلَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا وَاتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي؛
ضَلَلْتُمْ».

وَفِي رِوَايَةٍ: «لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا اتِّبَاعِي»، فَقَالَ عُمَرُ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا»^(١).

الشرح

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ أي: القرآن والسنة، والخطابُ للرسول
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهذا فيه أن القرآن كلامُ الله، مُنَزَّلٌ، وليس مخلوقًا كما تقوله الجهمية؛
فهو لم يُقُلْ: (ما خلقنا لك الكتاب)، بل قال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾
يعني: القرآن.

(١) أخرجه أحمد (٣٤٩/٢٣)، والدارمي في سننه (٤٤٩)، وأبو يعلى (١٠٢/٤)،
وعبدالرزاق في مصنفه (١١٣/٦)، وابن أبي شيبة (٣١٢/٥)، وابن أبي عاصم في السنة
(٢٧/١)، والبيهقي في شعب الإبان (٣٤٧/١) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

﴿تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ فالله جَلَّ وَعَلَا بَيَّنَّ فِيهِ الدِّينَ الَّذِي يَقْبَلُهُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَا يَقْبَلُ مِنْهُمْ سِوَاهُ، كَمَا أَنَّهُ بَيَّنَّ فِيهِ أَيْضًا الدِّينَ الَّذِي لَا يَقْبَلُهُ. ﴿تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ ﴿وَهَدَى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ فَهُوَ هَدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، أَمَّا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فَلَيْسَ هُوَ رَحْمَةً لَهُمْ، وَإِنَّمَا هُوَ حُجَّةٌ عَلَيْهِمْ.

يَقُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَمَّتِهِ: «لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا وَاتَّبَعْتُمُوهُ»، مَعَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِيمُهُ، لَكِنْ فَتَرْتُهُ انْتَهَتْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَلَوْ اتَّبَعْتُمُوهُ بَعْدَ بَعَثَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَضَلَلْتُمْ.

سَبِّحَانَ اللَّهَ! يَضِلُّونَ وَهُوَ مُتَّبِعُونَ رَسُولًا؟! نَعَمْ؛ لِأَنَّ هَذَا الرَّسُولَ قَدْ انْتَهَتْ فَتْرَتُهُ، وَجَاءَتْ فَتْرَةُ رَسُولٍ آخَرَ، وَهُوَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْإِنْسَانُ يَدُورُ مَعَ أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَيْثُمَا كَانَ، فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَسَخَ الشَّرَائِعَ السَّابِقَةَ بِشَرِيعَةِ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَيَجِبُ الْعَمَلُ بِالنَّاسِخِ وَلَا يَجُوزُ الْعَمَلُ بِالْمَنْسُوخِ، فَلَوْ أَنَّ وَاحِدًا الْآنَ صَلَّى إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَقَالَ: (بَيْتُ الْمَقْدِسِ قِبْلَةٌ، وَالْكَعْبَةُ، وَكُلُّهَا مَسَاجِدُ)، فَإِنَّا نَقُولُ لَهُ: صَلَاتُكَ هَذِهِ بَاطِلَةٌ لَا تَصَحُّ؛ لِأَنَّ اسْتِقْبَالَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ نُسْخٌ وَأُمِرَتْ بِاسْتِقْبَالِ الْكَعْبَةِ، فَعَلَيْكَ أَنْ تَدُورَ مَعَ أَمْرِ اللَّهِ، وَلَا تَدْرُ مَعَ هَوَاكَ؛ فَإِنَّ الشَّيْءَ إِذَا نُسِخَ لَا يَجُوزُ الْعَمَلُ بِهِ.

وكَذَلِكَ بَقِيَّةُ الدِّينِ، فَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ: (أَنَا أَعْمَلُ بِالتَّوْرَةِ)، مَعَ أَنَّ التَّوْرَةَ نُسِخَتْ وَقَدْ حُرِّفَتْ، لَكِنْ لَوْ قُدِّرَ أَنَّهُ لَيْسَ فِيهَا تَحْرِيفٌ فَلَا يَجُوزُ الْعَمَلُ بِهَا؛ لِأَنَّهَا مَنْسُوخَةٌ، فَالتَّوْرَةُ إِذَا مُحَرَّفَةٌ وَإِمَّا مَنْسُوخَةٌ؛ فَلَا يَجُوزُ الْعَمَلُ بِهَا، وَكَذَلِكَ الْإِنْجِيلُ: إِذَا مُحَرَّفٌ وَإِمَّا مَنْسُوخٌ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْعَمَلُ بِالْقُرْآنِ

الذي جاء به محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والدين لله، وما هو بالأهواء والشهوات وال رغبات.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا اتِّبَاعِي»، وهو أفضل أنبياء بني إسرائيل، وهو كليم الله، لو كان حيًّا وقت بعثة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما وَسِعَهُ إِلَّا اتِّبَاعُ الرِّسُولِ، ولا يبقى على شريعته؛ لأنها نُسخت وانتهت، والأمر لله جَلَّ وَعَلَا ﴿يَمَحُوهُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩].

«رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا»، هذا هو الواجب: أن الإنسان إذا تَبَيَّنَ له الْحَقُّ أَلَّا يَجَادِلَ فِيهِ وَلَا يَاطُلُ، فهذا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يدور مع الحق، فهو ظَنُّ أَنْ هَذِهِ الْوَرَقَةُ مِنَ التَّوْرَةِ فِيهَا حَقٌّ فَأَعْجَبَتْهُ، ولكن لما بَيَّنَّ له الرِّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا الْبَيَانَ اقْتَنَعَ، فقال: رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّا.

هذا هو الواجب: أن الإنسان إذا تَبَيَّنَ له الْحَقُّ يَجِبُ عَلَيْهِ الْمُبَادَرَةُ إِلَى قَبُولِهِ، فَإِنْ تَأَخَّرَ عَنْ قَبُولِهِ فَحَرِيٌّ أَنْ يَزِيغَ قَلْبُهُ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠].

فهذا فيه بُطْلَانُ اتِّبَاعِ غَيْرِ الْقُرْآنِ مِنَ الْكُتُبِ السَّابِقَةِ؛ لأنها منسوخة بالقرآن.



بَابُ مَا جَاءَ فِي الْخُرُوجِ عَنْ دَعْوَى الْإِسْلَامِ

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ سَمَنُكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾ [الحج: ٧٨].

الشرح

هذا الباب فيه أن هناك مَنْ يتسمَّى بالإسلام، ولكنه يخرج منه بسبب أنه يرتكب ناقضاً من نواقض الإسلام، فيظن أنه مسلم وهو غير مسلم. مثال ذلك: الذي يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويصلي ويصوم، هذا مسلم، لكنه إذا دعا غير الله، أو استغاث بغير الله، أو ذبح لغير الله؛ فقد أشرك بالله وخرج من الإسلام؛ لأن الإسلام هو: الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله، هذا هو الإسلام، فإذا عمل عملاً، أو قال قولاً، أو اعتقد اعتقاداً يخالف الإسلام؛ فإنه لا يكون مسلماً ولو كان ينتسب إلى الإسلام، وما أكثر ما يحصل هذا! وهذا مما يجب على المسلم أن يحذره، وأن يتعلم ما هو الإسلام الصحيح، وما هي مبطلات الإسلام ونواقضه؛ حتى يتجنبها، أما إذا كان يجهل هذا فإنه قد يقع فيه ويخرج من الإسلام وهو لا يشعر.

يقول الله جلَّ وعلا: ﴿هُوَ أَجْتَبَنَكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَنُكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٨] ما هي مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ

عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ هي التوحيد والإخلاص لله عَزَّجَلَّ، والبراءة من الشرك وأهله، هذه مِلَّةُ آبائنا إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وما خالفها فإنه كفرٌ وشركٌ بالله عَزَّجَلَّ.

هذه دعوة الرسل كُلِّهم من أولهم إلى آخرهم، يَدْعُونَ إلى الانقياد لله بالعبادة، وترك عبادة ما سواه؛ ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].



وَعَنِ الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «أَمْرُكُمْ بِخَمْسٍ، اللَّهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ: السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ، وَالْجِهَادُ، وَالْهَجْرَةُ، وَالْجَمَاعَةُ؛ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ، وَمَنْ دَعَا بِدَعَايِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّهُ مِنْ جُنَا جَهَنَّمَ». فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ؟ قَالَ: «وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ، فَادْعُوا بِدَعَايِ اللَّهِ الَّذِي سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللَّهِ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: «حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»^(١).

الشرح

هذا الحديث فيه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أَمْرُكُمْ بِخَمْسٍ»: الأولى: السمع والطاعة لولي أمر المسلمين؛ لأنه لا يستقيم الأمر إلا بالسمع والطاعة لولي أمر المسلمين، فالمسلمون لا يصلح أن يبقوا متفرقين مختلفين، لا بد أن يجتمعوا ويتوحدوا، ولا يجتمعون إلا على إمام أو ولي أمر، ولا تحصل الإمامة وولاية الأمر إلا بالسمع والطاعة، لكن في غير المعصية؛ كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ»^(٢). فيجب السمع

(١) أخرجه الترمذي (٢٨٦٣)، والنسائي (٨٨١٥)، وأحمد (٤٠٦/٢٨)، وابن حبان (١٢٤/١٤)، وابن خزيمة (٢٤٤/١)، والطبراني في الكبير (٢٨٦/٣)، والحاكم في المستدرک (٣٦٢/١)، والبيهقي في الكبرى (٢٧٠/٨).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٥٤٤/٦)، وأحمد (٣٣٣/٢)، والقضاعي في مسند الشهاب (٥٥/٢)، والطبراني في الكبير (١٧٠/١٨)، والأوسط (١٨١/٤)، وذكره الهيثمي في المجمع (٢٢٦/٥)، وقال: رجال أحمد رجال الصحيح. وأخرجه البخاري (٧٢٥٧)، ومسلم (٣٩) (١٨٤٠)، في حديث طويل.

والطاعة لولي الأمر وإلا لا يتم اجتماع المسلمين، ولا تتوحد كلمتهم، ولا يكون لهم جماعة ينضون تحتها، فالذي لا يسمع لولي الأمر ولا يطيع هذا ليس من الجماعة، هذا خرج من الجماعة، ومن خرج من الجماعة فقد خلع رِبْقَةَ الإسلام من عنقه، هذا وعيدٌ شديد، الأمر ليس بالهين، أن ينزل الإنسان عن المسلمين، ويتخلف عن المسلمين باجتهاده ورأيه! فلا بد من الاجتماع من أجل أن تتوحد كلمة المسلمين، وتتم مصالحهم، ويقوم أمرهم.

الثانية: الجهاد في سبيل الله؛ لإعلاء كلمة الله، فالله جَلَّ وَعَلَا أمر بالدعوة أولاً؛ دعوة الكفار والمشركين إلى الإسلام؛ لأنه هو دين الله عَزَّجَلَّ، وما عداه فهو باطل، فلا بد من الدعوة إلى هذا الدين، ثم من استجاب وقَبِلَ الدعوة فالحمد لله، ومن أبى فلا بد من الجهاد، وهو القتال لإعلاء كلمة الله عَزَّجَلَّ، ومحو الشرك من الأرض؛ قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]، فلا ينبغي أن يكون الدينُ بعضُه لله وبعضه لغير الله؛ لأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبِّر؛ فهو المستحقُّ للعبادة، ولا دين إلا دين الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ﴾ أي: انقاد ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣]، فجميع المخلوقات منقادة لله: إِمَّا ﴿طَوْعًا﴾ باتباع الشرع وطاعة الرسل، وهؤلاء هم المسلمون في كل زمان ومكان، أو ﴿كَرْهًا﴾، أي: ينقاد كرهاً لِقَدَرِ الله وقضائه، فإنَّ قدر الله وقضائه يقعان على الكفار والمسلمين، ويخضع العبد الكافر لله كرهاً لا طوعاً.

فالدين هو دين الله جَلَّ وَعَلَا لا دين سواه، ولا يقبل الله من أحد سواه يوم القيامة، وما دام الأمر كذلك فلا مجال لبقاء دين غير دين الإسلام؛ فلا بد من الجهاد لتوحيد العبادة لله عَزَّجَلَّ التي خلق الله الخلق من أجلها، وأرسل الرسل لبيانها، وأمر العباد بها.

الجهاد في سبيل الله هو القتال، أي: قتال المشركين إذا أبوا أن يقبلوا الإسلام، والجهادُ فرض على المسلمين حسب الاستطاعة؛ قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]، فالجهاد فرض، ولكن على حسب الاستطاعة: فإذا كان عند المسلمين قوَّةٌ وقدرة على تكوين الجيوش وغزو الكفار فإنه يجب عليهم ذلك، ولا بد من وجود الجهاد، فوجوده فرض كفاية، إذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين، وبقي في حق البقية سُنَّةٌ من أفضل العبادات، وإذا لم يُقَمْ به مَنْ يكفي أثم الجميع، فالجهاد فرض كفاية لا بد منه، أمَّا إذا كان المسلمون ليس عندهم استطاعةٌ فإنهم ينتظرون إلى أن يصبح عندهم قوَّةٌ؛ فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكث في مكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنةً مقتصرًا على الدعوة إلى الله عَزَّجَلَّ، ولم يؤمِّر بالجهاد؛ لأن المسلمين لا يقدرّون في تلك الفترة على الجهاد، ولما هاجر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة وصار له أنصارٌ وأعوانٌ فرض الله عليهم الجهاد؛ لأنهم صاروا يقدرّون عليه. هذه هي المسألة الثانية.

الثالثة: الهجرة، والهجرة مأخوذة من الهَجَرَ، وهو التَّرك، تَرَكُ الشَّيْءَ (١)، قال تعالى: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المذثر: ٥] والرجز: هو الأصنام، وهجرها: تركها. هذا في اللغة.

وأما في الشرع: فالهجرة هي: الانتقال من بلد الكفر إلى بلد الإسلام؛ فراراً بالدين، فالمسلم لا يبقى مع الكفار وهو يقدر على الهجرة إلى بلاد المسلمين؛ لأنه إذا بقي عند الكفار فإنهم يؤثرون عليه، فيتأثر بهم، أو يمنعونه من عبادة الله عَزَّجَلَّ ويجبرونه على الكفر؛ فلا بد من الهجرة عند القدرة.

والله عَزَّجَلَّ توَعَّد الذين لم يهاجروا وهم يقدرُونَ على الهجرة شُحاً بوطنهم أو بأموالهم؛ بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٧]، أي: إذا كنتم مستضعفين في هذه الأرض لا تقدرُونَ على إظهار دينكم فلماذا لم تنتقلوا إلى أرض تكونون أقوىاء فيها؟ ﴿فَأُولَئِكَ مَأْوُهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (٩٧) إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (٩٨) ﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ (٩٩) وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْغَمًا كَثِيرًا وَسِعَةً ﴿[النساء: ٩٧-١٠٠]، بدلاً من أن يكون مُضَيِّقًا عليه في هذه البقعة فإنه

(١) انظر الهجرة في اللغة في: النهاية في غريب الأثر (٥/٢٤٣)، ولسان العرب (٥/٢٥٠)، ومختار الصحاح (ص ٢٨٨).

وانظر الهجرة في الشرع في: أحكام القرآن لابن العربي (٣/٥٩٢)، والكافي (١/١٨٧)، والمغني (٩/٢٣٦)، ومجموع الفتاوى (٢٨/٢٠٤)، وفتح الباري (١/١٦)، وفتح القدير (١/٢١٨).

يُجِدُ أَرْضًا وَاسِعَةً ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْوُتُّ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٠] فإذا مات وهو في الطريق فقد كتب الله له أجر الهجرة، وهذا فضل عظيم.

والحاصل أن الهجرة لا بد منها، وهي قرينة الجهاد: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٢]، فالهجرة قرينة الجهاد في سبيل الله، وفيها فضل عظيم.

الرابعة: الجماعة: وهي أن تلزم جماعة المسلمين ولا تَشُدَّ عنهم؛ لأن الجماعة عصمة، ولأن كونك مع الجماعة فيه قوَّةٌ وعصمة لك، أما كونك تنزل، فهذا فيه خطر عليك وعلى دينك، فكن مع جماعة المسلمين، ومع إمام المسلمين، ولا تَشُدَّ عنهم.

أما الذي يخرج عن الجماعة، وعن السمع والطاعة، فهذا «قَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ» كما في الحديث، وفي الحديث الآخر: «مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شَبْرًا، فَمَاتَ، فَمِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ»^(١)؛ فيجب على المسلم أن يكون مع المسلمين، ولا يَشُدَّ عنهم، أن يكون معهم بدينه، ويكون معهم برأيه وقوله وفعله. أما أن يكون معهم بدينه ولكنه يخالفهم في رأيه بأن يكون له رأي آخر، فهذا لا يجوز.

وأشدُّ من ذلك إذا حمل السلاح على المسلمين، فإنه إذا حمل السلاح فقد نقض البيعة، وخرج عن جماعة المسلمين، أي: صار من الخوارج^(٢)؛

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٤)، ومسلم (٥٥) (١٨٤٩) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين جرى أمر المحكمين، واجتمعوا بحروراء من ناحية الكوفة، وفيهم قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ =

فيجب قتاله، والأخذ على يده، أما إذا رأى رأي الخوارج وصوبه، لكنه لم يحمل السلاح، فهذا يُكف عنه، ولكنه يُعتبر من الخوارج.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قَيْدَ شِبْرٍ، فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ، إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ» أي: إلا أن يتوب إلى الله، هذا فتح مجال لمن سَوَّلَ له نفسه، أو زَيْنَ له دعاة الضلال الخروج عن الجماعة، فالله جعل له فرصة أن يتوب ويرجع، وَمَنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ.

الخامسة: «وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّهُ مِنْ جُنَا جَهَنَّمَ».

الواجب على المسلم أن يتبرأ من أمور الجاهلية، ولا يتشبه بأهل الجاهلية؛ لأن الجاهلية كفرٌ وضلال، فلا يتخلَّق بأخلاق أهل الجاهلية، والجاهلية: هي ما كان قبل بعثة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمن حملته النخوة والعصية على مفارقة الجماعة، فهو على خصلة من خصال الجاهلية، هذه هي الجاهلية، ثم لما بُعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زالت الجاهلية العامة، وجاء العلم والقرآن والسنة، فزالت الجاهلية العامة والله الحمد، لكن قد يبقى هناك جاهليات في بعض الأشخاص، أو في بعض البلدان، أو في بعض القبائل، فالجاهلية العامة زالت بالإسلام والله الحمد؛ ولهذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مَنْ

=صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامُهُمْ، يَمُرُّونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمُرُّ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ». أخرجه البخاري (٢٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وكل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً؛ سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة في كل زمان. انظر: مقالات الإسلاميين (ص ٤، ٨٦)، والفرق بين الفرق (ص ٥٤)، والمِلَل والنحل (١/١١٤).

أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ: انْضَخُرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّغُنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ، وَالْإِسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ^(١)، فَمَنْ فَعَلَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْخِصَالِ، فَقَدْ فَعَلَ شَيْئًا مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ، أَيْ: يَكُونُ فِيهِ جَاهِلِيَّةٌ. وَلَمَّا عَيَّرَ أَحَدُ الصَّحَابَةِ أَخًا لَهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا ابْنَ السُّودَاءِ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ أَمْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ»^(٢)، يَعْنِي: فِيكَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ الْجَاهِلِيَّةِ.

فَالْفَخْرُ بِالْأَحْسَابِ، وَالطَّغْنُ بِالْأَنْسَابِ، وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ، هَذِهِ كُلُّهَا مِنْ أُمُورِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَيَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَتْرَكُوهَا، وَكَذَلِكَ الْعَصْبِيَّةُ الْقَبِيلِيَّةُ: أَنْ يَتَعَصَّبَ الْإِنْسَانُ لِقَبِيلَتِهِ، فَالْمُسْلِمُونَ كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ، لَيْسَ هُنَاكَ فَرْقٌ بَيْنَ مُسْلِمٍ وَآخَرَ، وَلَا يَتَمَيَّزُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ بِنَسَبٍ وَلَا بِحَسَبٍ، كُلُّهُمْ مُسْلِمُونَ، وَهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ، وَبُنْيَانٌ وَاحِدٌ، وَحَسْبُهُمْ وَاحِدٌ، فَلَا يَتَعَصَّبُ أَحَدٌ لِقَبِيلَتِهِ أَوْ لِرِئْسِهِ أَوْ لَشَيْخِهِ، هَذِهِ مِنْ أُمُورِ الْجَاهِلِيَّةِ. أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَإِنَّهُ يَرْجِعُ إِلَى الْحَقِّ مَهْمَا كَانَ، وَيَقْبَلُ الْحَقَّ مَعَ مَنْ كَانَ، وَيَنْقَادُ لَهُ، سِوَاءَ كَانَ الْحَقَّ مَعَ رِئْسِهِ، أَوْ مَعَ قَبِيلَتِهِ، أَوْ جَمَاعَتِهِ، أَوْ مَعَ غَيْرِهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

وَفِي إِحْدَى الْغَزَوَاتِ تَشَاجَرُ شَخْصٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مَعَ شَخْصٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، فَاقْتَتَلَا -يَعْنِي: تَضَارَبَا- «فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لَأَنْصَارٍ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ،

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٩٣٤) مِنْ حَدِيثِ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) سَبَقَ تَحْرِيجُهُ (ص ٣٣).

فَقَالَ: «دَعُوها؛ فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ»^(١)، فلا يجوز للإنسان أن يتعصب لقبيلته، أو يحتمي بقبيلته خاصة، بل يحتمي بالمسلمين عموماً، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَدَّ هذه الدعوى من أمر الجاهلية، والله جَلَّ وَعَلَا يقول لنساء الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَلَا تَبْرَحْنَ تَبْرِجَ الْجَهْلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣]، ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَطْنُونُ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَهْلِيَّةِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، ويقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَهْلِيَّةِ﴾ [الفتح: ٢٦].

حمية الجاهلية، وتبرج الجاهلية، ودعوى الجاهلية، والقومية العربية، وحكم الجاهلية؛ قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَهْلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾؟! كلها مرفوضة، نحن مسلمون، أعزنا الله بالإسلام، كما قال أمير المؤمنين عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «نَحْنُ أُمَّةٌ أَعَزَّنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ، فَمَهْمَا ابْتَغَيْنَا الْعِزَّةَ بغيرِهِ أَذَلَّنَا اللَّهُ»^(٢)، فالعزة

(١) أخرجه البخاري (٤٩٠٥)، ومسلم (٦٣) (٢٥٨٤) عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزَاةٍ، فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لِلْأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا بَأَلْ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: دَعُوها؛ فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ. فَسَمِعَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي، فَقَالَ: قَدْ فَعَلُوها! وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ. قَالَ عُمَرُ: دَعْنِي أَضْرِبَ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ: دَعْهُ؛ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ».

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٠/ ٩٣)، والحاكم في المستدرک (١/ ١٣٠) عَنْ طَارِقِ بْنِ شَهَابٍ، قَالَ: «لَمَّا قَدِمَ عُمَرُ الشَّامَ أَتَتْهُ الْجُنُودُ، وَعَلَيْهِ إِزَارٌ وَخُفَّانِ وَعِمَامَةٌ، وَأَخَذَ بِرَأْسِ بَعِيرِهِ يَحُوضُ الْمَاءَ، فَقَالُوا لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، تَلْقَاكَ الْجُنُودُ وَبِطَارِقَةِ الشَّامِ وَأَنْتَ عَلَى هَذَا الْحَالِ! قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّا قَوْمٌ أَعَزَّنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ، فَلَنْ نَلْتَمَسَ الْعِزَّ بغيرِهِ».

إنما هي بالإسلام: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨]؛ فالعزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

هذه هي أمور الجاهلية، فالواجب رفضها وتركها والابتعاد عنها، والشيخ - كما تعلمون - له رسالة اسمها (مسائل الجاهلية)، ذكر فيها عدة أمور من أمور الجاهلية؛ للتحذير منها، ففيها أكثر من مئة مسألة، أو أكثر من مئة وعشرين مسألة، كلها من مسائل الجاهلية، يجب على المسلم أن يتجنبها، ويتجنب غيرها من أمور الجاهلية.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّهُ مِنْ جُنَا جَهَنَّمَ» هذا وعيد شديد؛ لأنه يكون من أهل النار بسبب أنه دعا بدعوى الجاهلية، والواجب أن يدعو المسلم بالإسلام، لا بدعوى الجاهلية.

«فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ؟ قَالَ: «وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ، فَادْعُوا بِدَعْوَى اللَّهِ الَّذِي سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللَّهِ».

يعني: يكون من جُنَا جهنم وإن صلى وصام، أي: يعذب بهذه الخصلة، والمؤمن قد يعذب في النار وإن لم يكفر؛ فإنه قد يعذب بكبيرة في النار ويخرج منها بعد ذلك.



وَفِي الصَّحِيحِ: «مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ، فَمَاتَ؛ فَمَيَّتَتْهُ جَاهِلِيَّةٌ»^(١).
وَفِيهِ: «أَبْدَعُوْى الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ»^(٢).

الشرح

هذا أيضًا في الحث على لزوم الجماعة.
«مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ» أي: ولو قليلاً، أو أدنى مفارقة للجماعة
«فَمَاتَ» على هذا ولم يُتَّب، وهذا فيه فتح مجال لمن ابتلي بشيء من الشذوذات
والمخالفات بأن يتوب قبل الموت، أما إذا مات قبل أن يتوب فإنه يموت ميتة
جاهلية؛ يعني: يموت ومعه خصلة من خصال الجاهلية.

وَفِيهِ: «أَبْدَعُوْى الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ؟!» هذا في القصة التي
ذكرت سابقاً في إحدى الغزوات، لما اقتتل شابان، أحدهما من المهاجرين
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والآخر من الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكلُّ منهما دعا جماعته، فالمهاجريُّ
دعا المهاجرين، والأنصاري دعا الأنصار، وهذا من دعوى الجاهلية، وهؤلاء
مسلمون لا يجوز أن يدعوا بدعوى الجاهلية.



(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٤)، ومسلم (٥٥) (١٨٤٩) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) سبق تخريجه (ص ٦٣).

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ: (كُلُّ مَا خَرَجَ عَنْ دَعْوَةِ الْإِسْلَامِ وَالْقُرْآنِ - مِنْ نَسَبٍ، أَوْ بَلَدٍ، أَوْ جِنْسٍ، أَوْ مَذْهَبٍ، أَوْ طَرِيقَةٍ - فَهُوَ مِنْ عَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ؛ بَلْ لَمَّا اخْتَصَمَ مُهَاجِرِيٌّ وَأَنْصَارِيٌّ، فَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لِلْأَنْصَارِ؛ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَبْدَعُوا الْجَاهِلِيَّةَ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ»^(١)، وَغَضِبَ لِذَلِكَ غَضَبًا شَدِيدًا). انْتَهَى كَلَامُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى^(٢).

الشرح

«قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ» شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ مَبِينًا مَا هِيَ الْجَاهِلِيَّةُ، فَقَالَ: (كُلُّ مَا خَرَجَ عَنْ دَعْوَةِ الْإِسْلَامِ وَالْقُرْآنِ)، فَالْوَاجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَنْتَسِبَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَالْقُرْآنِ، وَلَا يَنْتَسِبَ إِلَى الْقَبِيلَةِ أَوْ الْبَلَدِ مِنْ بَابِ الْحَمِيَّةِ وَالِافْتِخَارِ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَعْتَزَّزَ بِالْقَبِيلَةِ؛ بَلْ يَعْتَزُّ بِالْإِسْلَامِ، وَلَا يَعْتَزُّ بِالْبَلَدِ؛ فَبِلَادِ الْمُسْلِمِينَ كُلِّهَا سَوَاءٌ، لَا مَزِيَّةَ لِبَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ، إِلَّا مَا مَيَّزَهَا اللَّهُ عَنْ غَيْرِهَا؛ كَمَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ، أَمَا بَقِيَّةُ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ فَكُلُّهَا سَوَاءٌ، سَوَاءٌ كَانَتْ فِي الْمَشْرِقِ أَوْ فِي الْمَغْرِبِ.

وكَذَلِكَ لَا يَعْتَدُّ الْمُسْلِمُ بِالنَّسَبِ أَوْ بِالْبَلَدِ أَوْ بِالْجِنْسِ فَيَقُولُ: (أَنَا عَرَبِيٌّ، وَأَنْتَ أَعْجَمِيٌّ)! هَذَا لَا يَجُوزُ، مَا دَامَ الْآخَرُ مُسْلِمًا فَهُوَ أَخَوْكَ؛ ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] عَرَبٌ وَعَجَمٌ، جَنٌّ وَإِنْسٌ، كُلُّهُمْ إِخْوَةٌ بِالْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ.

(١) سبق تخريجه (ص ٦٣).

(٢) انظر: السياسة الشرعية (١/ ٨٢)، ومجموع الفتاوى (٢٨/ ٣٢٨).

قال رَحِمَهُ اللهُ: (أَوْ مَذْهَبٍ) مِنْ مَذَاهِبِ الْعُلَمَاءِ؛ كَالْحَنَفِيِّ، وَالْمَالِكِيِّ، وَالشَّافِعِيِّ، وَالْحَنْبَلِيِّ، وَالظَّاهِرِيِّ، وَغَيْرِهَا، لَا يَجُوزُ أَنْ نَتَعَصَّبَ لَهَا، إِنَّمَا نَأْخُذُ بِالْدَّلِيلِ، مَا وَافَقَ الدَّلِيلَ أَخَذْنَا بِهِ، سِوَاءُ كَانَ قَوْلُ إِمَامِنَا أَوْ قَوْلَ غَيْرِهِ، وَكُلُّ الْعُلَمَاءِ أُمَّةٌ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ، كُلُّ عُلَمَاءِ أَهْلِ السَّنَةِ أُمَّةٌ، فَأَبُو حَنِيفَةَ إِمَامٌ لَنَا، وَالشَّافِعِيُّ وَمَالِكٌ وَأَحْمَدُ أُمَّةٌ لَنَا، لَا نَتَفَرَّقُ: أَنَا حَنَفِيٌّ وَأَنْتَ حَنْبَلِيٌّ... وَكَذَا وَكَذَا! نَحْنُ نَتَّبِعُ الدَّلِيلَ، إِذَا لَاحَ لَنَا الدَّلِيلُ سِوَاءُ كَانَ مَعَ إِمَامِي أَوْ إِمَامِكَ فَهُوَ الْمَتَّبَعُ، وَلَا نَتَعَصَّبُ لِرَأْيِ إِمَامٍ أَوْ مَذْهَبِ إِمَامٍ، بَلْ نَتَمَسَّكُ بِالْحَقِّ.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (أَوْ طَرِيقَةٍ) مِنْ طُرُقِ الصُّوفِيَّةِ، فَالصُّوفِيَّةُ لَهُمْ طُرُقٌ، كُلُّ طَائِفَةٍ لَهَا طَرِيقَةٌ وَلَهَا شَيْخٌ، وَهُمْ يَتَعَصَّبُونَ لِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ؛ كَالنَّقَشْبَنْدِيِّ، التَّيْجَانِيِّ، الْبَرْهَانِيِّ، الْقَادِرِيِّ... إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، لَهُمْ طُرُقٌ كَثِيرَةٌ، وَالْإِسْلَامُ لَيْسَ فِيهِ انْقِسَامَاتٌ، الْإِسْلَامُ هُوَ إِسْلَامٌ وَاحِدٌ، وَالْمُسْلِمُونَ إِخْوَةٌ، لَيْسَ هُنَاكَ نَقَشْبَنْدِيٌّ وَقَادِرِيٌّ وَبَرْهَانِيٌّ وَغَيْرُ ذَلِكَ، كُلُّ هَذِهِ مِنْ كَيْدِ الشَّيْطَانِ لِلْمُسْلِمِينَ، الْوَاجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَكُونُوا جَمَاعَةً وَاحِدَةً، وَأَنْ يَعْمَلُوا بِكِتَابِ اللَّهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبِمَا عَلَيْهِ سُلْفُهُمُ الصَّالِحُ.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (فَهُوَ مِنْ عَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ) كُلُّ هَذِهِ الْأُمُورِ يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ إِنَّهَا مِنْ عَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَ«مَنْ تَعَزَّى بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَعِضْوُهُ بِهِنَّ أَبْيَهُ، وَلَا تَكُونُوا»^(١).

(١) أخرجه النسائي (٨٨١٣)، وعبد الرزاق في مصنفه (٤٣٨/١)، وابن أبي شيبة (٤٥٥/٧)، وأحمد (١٥٩/٣٥)، وابن حبان (٤٢٤/٧)، والطبراني في الكبير (١٩٨/١)، وفي مسند الشاميين (٣٩/٤)، من حديث أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(فَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لِّلْمُهَاجِرِينَ، وَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لِّلْأَنْصَارِ) مع أن لفظ المهاجرين لفظٌ شرعيٌّ، ولفظ الأنصار لفظ شرعي أيضًا، لكن لا يجوز أن نتعزَّى بالأنصار والمهاجرين؛ فالمهاجرون والأنصار إخوة، وهم جماعة واحدة، لا نفرّق بينهم فنتسب لبعضهم ونترك الآخر، كلُّهم إخواننا.



بَابُ وُجُوبِ الدُّخُولِ

فِي الْإِسْلَامِ كُلِّهِ وَتَرَكِ مَا سِوَاهُ

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾

[البقرة: ٢٠٨].

شرح

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (بَابُ وُجُوبِ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ كُلِّهِ وَتَرَكِ مَا سِوَاهُ) بمعنى أنك تقبلُ الإسلامَ كُلَّهُ، فلا تأخذ بعضه وتترك بعضه؛ قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨] أي: في الإسلام، اقبلوه كُلَّهُ، ولا تأخذوا بعضه وتتركوا البعض الآخر؛ فإن من فعل ذلك فإنه كافر بالإسلام؛ قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (١٥٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ﴿[النساء: ١٥٠-١٥١]، الذي يؤمن ببعض الرسل أو ببعض الكتاب أو ببعض الإسلام ويكفر ببعض البعض الآخر فهو كافر بالجميع ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ أَقِيمَةُ يَرْدُونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥].

فالواجب على المسلم أن يَقْبَلَ الإسلام كُلَّهُ، فيعملَ بما يستطيع منه، لكن يؤمن به كُلَّهُ، أما أن يؤمن ببعض ويكفرَ بالبعض الآخر، فهذا لا يجوز ولا يكفي، أو أن يأخذ من الإسلام ما وافق هواه وما خالف هواه تركه، فهذا أيضًا لا يجوز ولا يكفي، فيجب أن يقبل الإسلام جميعه، ويؤمن بالإسلام كُلَّهُ.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (وَقَوْلِ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلَ كَافَّةً﴾) ﴿كَافَّةً﴾ يعني: جميع الإسلام، فلا تأخذ بعضه وتترك بعضه حسب هواك ورغبتك، أو تأخذ الذي يُرضيك، الإسلام كُلُّه وحدة متكاملة^(١).



(١) انظر: تفسير الطبري (٣/ ٦٠٠)، وابن أبي حاتم (٢/ ٣٧٠)، وزاد المسير (١/ ١٧٤)، وابن كثير (١/ ٥٦٦).

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [الآية: النساء: ٦٠].

الشرح

من الدخول في الإسلام كافة: تحكيم الشريعة، فهذه من أمور الإسلام، فالذي يدعي أنه مسلم، ولكنه يعزل الشريعة عن الحكم ويحكم القوانين؛ فهذا ليس مسلماً؛ قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ قال: ﴿يَزْعُمُونَ﴾، والزعم أكذب الحديث؛ فدلَّ على أن دعواهم ليست صحيحة ﴿يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّلْعُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠]، فلا بد من الحكم بما أنزل الله، أما الذي يُقضي الحكم بما أنزل الله نهائياً ويجعل محلَّ ذلك القوانين، هذا ليس بمسلم ولو كان يزعم أنه مسلم، وهذا في القرآن: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّلْعُوتِ﴾ انظر: ﴿يُرِيدُونَ﴾، وهو عبارة عن نية في القلب فقط، فكيف إذا نفَّذ؛ فالأمر أشد، إذا نوى بقلبه فهو ليس بمؤمن، فكيف إذا نفَّذ؟!



وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾
[الأنعام: ١٥٩].

الشرح

هذا فيه النهي عن التفرق في الدين ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا﴾
[الأنعام: ١٥٩] أي: أحزاباً وجماعات، هذا ذمٌ وتحذير، فالمسلمون جماعة واحدة،
وحزب واحد، هم حزب الله وجند الله، فلا ينقسمون إلى أحزاب وجماعات،
وكلُّ يدعو إلى حزبه أو إلى جماعته، ويُضِلُّ الآخرين ويتقص الآخريين! هذا
لا يجوز بين المسلمين، هذا من أمور الجاهلية، المسلمون يدُّ واحدة، وجماعة
واحدة، وحزبٌ واحد، وإذا اختلفوا يرجعون إلى الكتاب والسنة: ﴿فَإِنْ
نُنَزَّعُكُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ
خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

فالواجب على المسلمين أن يكونوا جماعةً واحدةً، وحزباً واحداً، وإذا اختلفوا
يتحاكمون إلى كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا يقول كل واحد منهم:
(نبقى على ما نحن عليه، ولا نرجع عما نحن عليه)! هذا من أمور الجاهلية.
وقوله: ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ هذه براءة، برأ الله رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
من ﴿الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا﴾ يعني: جماعات، فالمسلمون جماعة
واحدة، لا انقسام ولا تفرق، والنزاع والخلاف سيحصل، ولكن يُحَسَّمُ
بالتحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمن كان معه الصواب
رجعنا إليه، ومن كان على خطأ يرجع عن خطئه، ولا يتعصب لرأيه أو حزبه
أو جماعته، هذا شأن المسلمين.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾
الْآيَةُ [آل عمران: ١٠٦]: «تَبْيَضُّ وُجُوهُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْإِتِّلَافِ، وَتَسْوَدُّ وُجُوهُ أَهْلِ
الْبِدْعِ وَالْإِخْتِلَافِ»^(١).

الشرح

هذه الآية بعد قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا
مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ
تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَد هُدِيَ إِلَىٰ
صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ
مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٠-١٠٢]، ثم قال: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾
[آل عمران: ١٠٣] حبل الله: هو القرآن والإسلام والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ إلى جماعات وأحزاب، نهى عن التفرق. ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا
حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾
وَلَتَكُن مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ
هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣-١٠٥]

(١) أخرجه ابن حاتم في تفسيره (٧٢٩/٣)، والخطيب في تاريخ بغداد (٣٧٩/٧)،
واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٧٢/١). وانظر: تفسير البغوي (٨٧/٢)، وتفسير
القرطبي (١٦٧/٤)، وتفسير ابن كثير (٩٢/٢)، والدر المنثور للسيوطي (٢/٢٩١).

نهى عن التفرق في أول الآيات، ثم قال: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾، ثم نهى عن التشبه بالأُمم السابقة الذين تفرَّقوا في دينهم، فقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ اختلَفوا وتفرَّقوا، وعندهم الوحي المنزَّل، ولم يتحاكموا إليه، بل كلُّ يتعصب لرأيه ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ الذين اختلَفوا وتفرَّقوا وتركوا ما أنزل الله، لم يرجعوا لحِسْمِ الخلاف إلى كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل كلُّ بقي على مذهبه، وتركوا الكتاب المنزَّل، واكتفوا بمناهجهم ومذاهبهم وأقوالهم ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٠٥) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (تَبْيَضُّ وجوه أهل السنة والجماعة، وتَسْوَدُّ وجوه أهل الفرقة والاختلاف). هذا مآلهم يوم القيامة، فالذين يبقون على اختلافهم ويتعصبون لأرائهم تَسْوَدُّ وجوههم يوم القيامة، والذين اجتمعوا على الحق وحَسَمُوا نزاعهم بالدليل، هؤلاء تَبْيَضُّ وجوههم يوم القيامة.



وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، حَدُّو النُّعْلَ بِالنُّعْلِ، حَتَّى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عَلَانِيَةً كَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ، وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفَتَّرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً». قَالُوا: مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي».

فَلْيَتَأَمَّلِ الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ كَلَامَ الصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ فِي هَذَا الْمَقَامِ، خُصُوصًا قَوْلُهُ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»، يَا لَهَا مِنْ مَوْعِظَةٍ لَوْ وَافَقَتْ مِنْ الْقُلُوبِ حَيَاةً! رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ^(١).

الشرح

هذا تحذير من هذا الذي سيقع في آخر الزمان، تحذير للأمة، وهذا من حرصه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أُمَّته وشفقته عليهم أنه أخبرهم عما سيحصل، وبيّن لهم كيف النجاة منه، فبنو إسرائيل تفرّقوا واختلّفوا: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥] هذا في بني

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٤١) وقال: (هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه)، وأخرجه الحاكم في المستدرک (٢١٨/١)، كلاهما من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وأخرجه الطبراني في الأوسط (١٣٧/٥)، والصغير (٢٩/٢) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ورُوي نحوه من حديث أبي هريرة، وسعد بن أبي وقاص، ومعاوية، وعمرو بن عوف المزني، وعوف بن مالك، وأبي أمامة، وجابر بن عبد الله، رضي الله عنهم أجمعين، انظر: تخريج الأحاديث والآثار للزبيعي (٤٤٧/١).

إسرائيل، فما دام أن هذا حدث في بني إسرائيل، فسيحدث في هذه الأمة عند من يقلدهم، وقد حدث، لكن عند حدوثه يجب على المسلم ألا يتعصب، وإنما يحرص على الدليل وأتباع الكتاب والسنة؛ حتى ينجو من هذه الفتنة وهذا الشر وهذا الاختلاف، فهذا خبرٌ معناه التحذير، وهو من معجزاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أخبر أنه سيوجد من يشبه باليهود والنصارى حتى في أتفه الأشياء، أو أقبحها وأشنعها، حتى لو كان في اليهود والنصارى من يأتي أمّه -يعني: يجامع أمّه- لوجد في هذه الأمة من يفعل ذلك تقليدًا لهم؛ لأنه يعتبر ما هم عليه هو الكمال، ولو كان أقبح الأشياء وأشنعها، فالزنا عموماً فاحشة وساء سبيلاً، والزنا بالأم أقبح أنواع الزنا، ولو فعله الكفار صار عند بعض الناس مستحسنًا! وفي الحديث الآخر: «حَتَّى تَوْ سَلَكُوا جُحَرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ»^(١)، هذا فيه التحذير من التشبه باليهود والنصارى، وأنه خطر عظيم على المسلمين.

(وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفَرَّقَ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً». قَالُوا: مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي») أخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن في هذه الأمة من يشبه باليهود والنصارى، وأن اليهود والنصارى اختلفوا؛ فاليهود اختلفوا على إحدى وسبعين فرقةً، والنصارى على ثنتين وسبعين، وستفترق هذه الأمة

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَتَبْعَنَّ سَنَنْ مَنْ قَبْلَكُمْ، شَبْرًا بِشِيرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحَرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ. قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: فَمَنْ؟!».

على ثلاث وسبعين فرقة؛ تقليدًا لهم، وكلُّها في النار إلا واحدة، وهي التي بقيت على ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فلا نِجاة من النار إلا باتباع الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح، ومن لم يكن كذلك فهو في النار؛ إما لكفره، وإما لضلاله، فليست كلُّ الفرق كافرةً، بعضها كافر، وبعضها دون الكفر، لكنها كله متوَعِّدةٌ بالنار؛ لكفرها، أو لضلالها.

(فَلْيَتَأَمَّلِ الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ كَلَامَ الصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ فِي هَذَا الْمَقَامِ، خُصُوصًا قَوْلَهُ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي») ليتأمل المسلم الناصح لنفسه كَلَامَ الصادق المصدوق، وهو الرسول ﷺ؛ فهو (الصادق) فيما أخبر به: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤]، (المصدوق): أي: المصدَّق من الله تعالى، فالله هو الذي أخبره بذلك، فهو صادق وهو مصدوق عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ صادق فيما أخبر به، ومصدوق فيما أخبر به من قِبَلِ اللَّهِ.

وليتأمل المسلم اللبيب العاقل هذا الأمر، وأنه لا بد أن يحدث، ولا نِجاة منه إلا بما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهذا يستدعي منَّا أن نتعلم ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه، أمَّا أن كُلاً يدَّعي أنه على ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهو جاهل بما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أو يدري ولكنه تعمَّد الخطأ؛ فهذا لا يصح أبداً ولا يجوز، فلا بد أن نتعلم ونعرف ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ حتى نتمسك به، ولا نلتفت إلى سواه.

قال رحمه الله: (يا لها من مَوْعِظَةٍ لَوْ وَاَفَقْتُ مِنَ الْقُلُوبِ حَيَاةً!) هذه موعظة الرسول صلى الله عليه وسلم، لو وافقت من القلوب حياةً لكان للقلوب معها شأنٌ؛ بالاعتبار والامثال، والحرص على معرفة الحق، والعمل به، وألا يكون الإنسان إمعةً يكون مع الناس أينما كانوا، بل يكون مع الحق دائماً وأبداً ولو خالفه الناس، ولا يقلد بغير هدى تقليد الأعمى، عليه أن يعرف الحق أولاً، ثم يعمل به، ويدعو إليه، هذا هو الواجب على كل مسلم، أما أن تقول: (دعوا الناس على ما هم عليه)، عملاً بمقولة: (حرية الرأي)، (الرأي والرأي الآخر)، (لا تحجروا على الناس وتضيّقوا عليهم) فهذا كلام باطل، هذا كلام أهل الضلال والعياذ بالله، هذا مخالف لقول الرسول صلى الله عليه وسلم، فالواجب أن ندعو الناس إلى الصواب وإلى الحق، ولا نُقرّهم على ضلالهم، ولا على ما هم عليه، ونقول: حرية الرأي! ليس هناك شيء اسمه حرية رأي، وإنما الواجب اتباع الكتاب والسنة، لو كان هناك حرية رأي لم نحتج إلى الرسل ولا إلى الكتب، بل كلُّ يتبع رأيه وعقله، فالرأي إذا خالف الوحي يجب أن يُترك، أما إذا وافق الوحي فالحمد لله، يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «لَوْ كَانَ الدِّينُ بِالرَّأْيِ، لَكَانَ أَسْفَلُ الْخُفِّ أَوْلَى بِالْمَسْحِ مِنْ أَعْلَاهُ، وَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْسَحُ عَلَى ظَاهِرِ خُفِّهِ»^(١)؛ فالدين ليس بالرأي، وإنما بالاتباع.

يقول سهل بن حنيف رضي الله عنه: «أَيُّهَا النَّاسُ، اتِّمُّوا رَأْيَكُمْ، وَاللَّهِ، لَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ أَبِي جَنْدَلٍ وَلَوْ أَنِّي أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرُدَّ أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) أخرجه أبو داود (١٦٥)، والترمذي (٩٧)، وابن ماجه (٥٥٠).

لَرَدُّهُ»^(١)، وهذا في قصة الحُدَيْيَّة، لما تَمَّ الصلح بين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمشرِكين، وكان من بنوده: «أَنَّ مَنْ جَاءَ مِنْكُمْ لَمْ تُرَدِّهِ عَلَيْكُمْ، وَمَنْ جَاءَ كُمْ مِنَّا رَدِّتُمُوهُ عَلَيْنَا»، فشق هذا على سهل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لأنه لا يعرف العواقب، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «مَنْ ذَهَبَ مِنَّا إِلَيْهِمْ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، وَمَنْ جَاءَنَا مِنْهُمْ سَيَجْعَلُ اللَّهُ لَهُ فَرْجًا وَمَخْرَجًا»^(٢) يعني: من ذهب من المسلمين إلى الكفار لا خير فيه، فلا يرجع، ومن جاء من المشرِكين إلى المسلمين ورَدُّوه، فسيجعل الله له فَرْجًا وَمَخْرَجًا: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢]، ثم بعد ذلك تَبَيَّنَ الْحَقُّ، وأن هذا الصلح في غاية المصلحة للمسلمين؛ لأنه كَفَّ أذى الكفار عن المسلمين، وسمحوا للمسلمين بالهجرة، وكثُر المهاجرون، ووضعت الحرب أوزارها، وصار المسلمون يَدْعُونَ إِلَى اللَّهِ عَزَّجَلَّ لا يعترضهم أحد؛ فَسَمَّاهُ اللَّهُ فَتْحًا مَبِينًا ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: ١] هذا هو صلح الحُدَيْيَّة^(٣).



(١) أخرجه البخاري (٣١٨١، ٤١٨٩، ٧٣٠٨)، ومسلم (٩٥) (١٧٨٥).

(٢) أخرجه مسلم (٩٣) (١٧٨٤) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) انظر قصة صلح الحُدَيْيَّة في: سيرة ابن هشام (٢/ ٣٠٨-٣٢٣)، والروض الأنف (٧٦/ ٧)، وتاريخ الطبري (٣/ ٧١)، والسيرة النبوية لابن كثير (٣/ ٣١٢-٣٣٧).

وَرَوَاهُ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَصَحَّحَهُ، وَلَكِنْ لَيْسَ فِيهِ ذِكْرُ النَّارِ، وَهُوَ فِي حَدِيثِ مُعَاوِيَةَ عِنْدَ أَحْمَدَ وَأَبِي دَاوُدَ، وَفِيهِ: «إِنَّهُ سَيُخْرَجُ فِي أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَتَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ، كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ، لَا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلَا مِفْصَلٌ إِلَّا دَخَلَهُ»^(١).

وَقَدْ تَقَدَّمَ قَوْلُهُ: «وَمُبْتَغٍ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ»^(٢).

الشرح

الله جَلَّ وَعَلَا نَهَى عَنْ اتِّبَاعِ الْأَهْوَاءِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣]، ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾ [الجاثية: ٢٣].

فَالَّذِي يَبْلُغُهُ الْحَقُّ وَلَا يَقْبَلُهُ يَكُونُ مُتَّبِعًا لِهَوَاهُ، وَيُعَاقَبُ بِأَنَّ اللَّهَ يَخْتَمُ عَلَى قَلْبِهِ، فَلَا يَقْبَلُ الْحَقَّ بَعْدَ ذَلِكَ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ -؛ عَقُوبَةً لَهُ، فَاتِّبَاعُ الْهَوَى شَرٌّ، وَالْوَاجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَّبِعَ الْحَقَّ، سَوَاءً وَافَقَ هَوَاهُ أَوْ خَالَفَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: ٧١]، فَاتِّبَاعُ الْهَوَى شَرٌّ، وَفِي آخِرِ الزَّمَانِ تَكَثُرُ الْأَهْوَاءُ فِي النَّاسِ، «تَتَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ» بِمَعْنَى أَنَّهَا تَدْخُلُ فِي عُرُوقِهِمْ.

(١) أخرجه أبو داود (٤٥٩٧)، وأحمد (١٣٥/٢٨) من حديث معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) سبق تخريجه (ص ٣٠).

«كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ» وهو مَرُضٌ يصيب الإنسان من عضّة الكلب المصاب بالسُّعار.

«بِصَاحِبِهِ» إذا عض الكلبُ الإنسانَ، فإن ريقه يدخل في عروق الإنسان ويتجارى في جسمه كلّهُ، والأهواء تتجارى في الناس مثل داء الكلب.



بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ الْبِدْعَةَ أَشَدُّ مِنَ الْكِبَائِرِ

الشرح

الْبِدْعَةُ لُغَةً: هِيَ الشَّيْءُ الْمُحَدَّثُ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧] أَي: أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَوْجَدَهُمَا مِنْ عَدَمٍ، فَالْبِدْعَةُ: هِيَ الشَّيْءُ الْمُحَدَّثُ. هَذَا فِي اللُّغَةِ^(١).

وَأَمَّا الْبِدْعَةُ فِي الشَّرْعِ: فَهِيَ إِحْدَاثُ شَيْءٍ فِي الدِّينِ لَيْسَ لَهُ أَصْلٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَلَا مِنْ سُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كإحداث عبادَةٍ لَيْسَ لَهَا أَصْلٌ؛ لِأَنَّ الْعِبَادَاتِ تَوْقِيفِيَّةٌ، فَلَا بَدْلَ لَهَا مِنْ دَلِيلٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا لَيْسَ عَلَيْهِ دَلِيلٌ فَإِنَّهُ بَدْعَةٌ مَذْمُومَةٌ مَرْدُودَةٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ أَكْمَلَ هَذَا الدِّينَ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: ٣] فَأَخْبَرَ سَبْحَانَهُ أَنَّهُ أَكْمَلَ الدِّينَ قَبْلَ وَفَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَا تُؤْفَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا وَقَدْ أَكْمَلَ اللَّهُ الدِّينَ لِلْأُمَّةِ، فَأَيُّ شَيْءٍ بَعْدَ ذَلِكَ يُحَدَّثُ فَإِنَّهُ مَرْدُودٌ؛ كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ، فَهُوَ رَدٌّ»^(٢)، وَفِي رَوَايَةٍ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ»^(٣) أَي:

(١) انظر: العين (٢/ ٥٤)، وتهذيب اللغة (٢/ ١٤٢)، والصحاح (٣/ ١١٨٣)، ومقاييس اللغة (١/ ٢٠٩).

(٢) سبق تخريجه (ص ٢٨).

(٣) سبق تخريجه (ص ٢٨).

مردودٌ عليه، فمن أحدث في أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو عمل عملاً ليس عليه أمر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فإنه لا يُقبل عند الله، وهو مردود على صاحبه، وإن كان صاحبه حسن النية ويريد الأجر، فهذا لا يسوغ البدعة ولو حسن قصد صاحبه، أو نوى بها التقرب إلى الله وقال: (هذه زيادة خير)، نقول له: هذه زيادة شرٍّ، وليست خيراً، الخَيْرُ فيما جاء به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ولهذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا»^(١) هذا دليل على أن البدعة شرٌّ، وإن كان صاحبها يظن أنها خير «وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»^(٢) كل بدعة ضلالة، ليس هناك بدعة حسنة كما يقول من يقوله من المبتدعة الذين يُروجون البدع بأنها بدعٌ حسنة وليست بدعاً سيئة! فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر أن كل بدعة فهي ضلالة، وليس هناك بدعة هداية أو خير، فلو كانت هذه الأعمال خيراً لشرعها الله جَلَّ وَعَلَا لعباده؛ فإن الله جَلَّ وَعَلَا لم يترك شيئاً فيه خيرٌ للعباد إلا شرعه لهم، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يترك شيئاً من الدين إلا بينه، ولم يكتم منه شيئاً، فقد بلغ البلاغ المبين عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ» هذا فيه تحذير «فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»^(٣)؛ فليس في البدع

(١) أخرجه مسلم (٤٣) (٨٦٧) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه النسائي (١٧٩٩) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢، ٤٣، ٤٤)، وأحمد (٣٧٣/٢٨)، والدارمي (٩٦)، والطبراني في الكبير (٢٤٥/١٨)، وابن حبان =

شيءٌ حسن، بل كلُّها ضلالةٌ بشهادة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالذي يأتي بعبادة أو عملٍ يتقَرَّب به إلى الله، ولم يكن عليه دليلٌ من كتاب الله ولا سنة رسوله؛ فإنه بدعة، وهو ضلالةٌ وشر، وليس فيه خير كما يزعم المبتدعة الذين يُحَدِّثُونَ أشياءً من الأذكار، أو العبادات، أو الصيام، أو الصلوات، أو الأدعية، أو الأعياد أو غير ذلك، ويظنون أنه يُقَرِّبهم إلى الله، وأنه مشروع! هذا باطل مردود على صاحبه، فالبدع لا خير فيها، ولا حَدَّثَتْ بدعةٌ إلا رُفِعَ مثُلُها من السنة، والدين كاملٌ والله الحمد، والباب مفتوح لكل من يريد الخير على طريقة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أما أن يأتي بأشياء ليس لها أصلٌ في كتاب الله ولا من سنة رسوله، فهذه مردودة؛ ولهذا اهتمَّ العلماء رَحِمَهُمُ اللهُ بالتحذير من البدع، وألَّفُوا في ذلك مؤلفاتٍ كثيرةً، مطوَّلةٌ ومختصرة؛ ومن ذلك: كتاب (الاعتصام) للإمام الشاطبي، و(اقتضاء الصراط المستقيم) لشيخ الإسلام ابن تيمية، و(البدع والنهي عنها) لمحمد بن وضَّاح، و(الباعث على إنكار البدع والحوادث) لأبي شامة، وغير ذلك من الكتب المطوَّلة والمختصرة، وكما جاء في شروح الأحاديث النبوية بيانُ البدع والتحذير منها.

فالبدع شرٌّ، وأهلها أهل ضلال، وهي تحارب السنن؛ ولذلك تجد المبتدعة يبغضون السنن، ويحبون البدع، وينشطون في إحياء البدع، وإذا جاءت السنة تكاسلوا، وثقلت عليهم السنن، هذا شيء معروف عن المبتدعة: أنهم لا ينشطون إلا في البدع، ومواسم البدع، أما السنن فإنهم من

= (١٧٨/١)، والحاكم في المستدرک (١/١٧٤)، والبيهقي في الكبرى (١٠/١٩٥)، من

حديث العزْبَاضِ بنِ سارية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

أكسل الناس عنها، وهذا عقوبة لهم من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لأن مَنْ ترك الحق ابتلي بالباطل.

فالبدع لا يُتساهل في شأنها أبداً؛ لأنها خطر على الدين، وخطر على المسلمين، وبها يزول الدين شيئاً فشيئاً، وتحلُّ محلّه البدع، وهذا ما يريده الشيطان لبني آدم: يريد أن يزحزحهم عن الشريعة إلى البدع، وهذا ما يريده شياطين الإنس والجن: أن يزحزحوا الناس عن السنن إلى البدع.

ثم إن بعضهم أو كثيراً منهم له مطامع في هذه الأمور؛ لأنه يعيش من ورائها ويأكل بها، لهم مطامع دنيوية، ولهم بها رئاسة يترأسون بها على الناس، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ [التوبة: ٥٩]، لأعزهم الله ولأغناهم الله، فلا شك أن العزّ والرّفعة في الدنيا والآخرة هي بالتمسك بالسنن، وترك البدع. هذا باب عظيم، ينبغي العناية به.

ولهذا قال رحمه الله: (باب ما جاء أنّ البدعة أشدّ من الكبائر) الكبائر: هي الذنوب الكبار؛ لأن الذنوب تنقسم إلى قسمين: كبائر، وصغائر.

فالكبائر ضابطها: كلّ معصية أوجب الله عليها حداً في الدنيا؛ كحد الزنى، وحد السرقة، والقصاص، وحد الشرب، هذه كبائر؛ يعني: ما عليه حدّ في الدنيا يقام على من ارتكبه، فهو من الكبائر، أو ما عليه وعيد في الآخرة؛ كالتوعد بالنار على من فعل كذا، أو باللعة، أو بالغضب.

هذا ضابط الكبيرة: ما رُتِّب عليه حدٌ في الدنيا، أو وعيدٌ في الآخرة، أو حُتِم بغضبٍ أو لعنة، أو تبرأ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من فاعله؛ مثل: ليس مِنَّا مَنْ فَعَلَ كَذَا^(١).

أمَّا ما جاء النهي عنه ولم يُرتَّب عليه شيءٌ من ذلك، وإنما هو نهيٌ فقط؛ فهذه ذنوبٌ صغائرٌ.

وأكبر الكبائر: الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن الله أخبر أنه لا يغفر لصاحبه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وأما الكبائر التي دون الشرك، فهذه تحت المشيئة: إن شاء الله غفر لصاحبها، وإن شاء عذَّبها؛ قال تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾.

ومرتكب الكبيرة دون الشرك لا يكفر عند أهل السنة والجماعة، وإنما يكون ناقص الإيمان؛ فيكون فاسقًا، أما الخوارج والمعتزلة^(٢) فيرون أن

(١) قال ابن عبد القوي رَحِمَهُ اللَّهُ:

فما كان فيه حدٌ في الدنيا أو وعيدٌ
وزاد حفيدُ المجدِّ: أو جاء وعيده

بأخرى فسَمَّ كبرى على نصِّ أحمدٍ
بنضي لإيمانٍ ولعنٍ مُبعدٍ

انظر: غذاء الألباب بشرح منظومة الآداب للسفاري (١/ ٢٨٧).

(٢) هي إحدى الفرق الضالة المخالفة لأهل السنة والجماعة، ورأس هذه الفرقة واصل بن عطاء الغزال، كان تلميذًا في مجلس الحسن البصري، فأظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين، وأن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن ولا بكافر، فطرده الحسن من مجلسه، وانضم إليه عمرو بن عبيد، واعتزلا مجلس الحسن؛ فسُمُّوا بالمعتزلة لذلك، ويُلقَّبون بالقَدَرِيَّة؛ لإسنادهم أفعال العباد إلى قدرتهم، وإنكارهم القَدَرَ فيها.

وقد اختلفت المعتزلة إلى فِرَقٍ شَتَّى يجمعهم القول بنفي الصفات، والقول بخلق القرآن، وأن العبد يخلق فعل نفسه، ولهم أصول خمسة جعلوها بمنزلة أركان الإيمان عند أهل السنة؛ وهي: التوحيد، والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وإنما أرادوا بهذه المسميات معاني باطلة.

مرتكب الكبيرة خارجٌ من الإسلام، والجهمية^(١) والمرجئة^(٢) لا تضر عندهم المعاصي، فالخوارج يُكفرون صاحبها ويَحُلِّدونه في النار، والمعتزلة يقولون: هو في المنزلة بين المنزلتين؛ لا هو بمسلم ولا بكافر، فإن مات ولم يَتُبْ فهو مُحَلَّدٌ في النار كما تقوله الخوارج! والمرجئة يقولون: الإيمان بالقلب، ولا تضر معه معصية! أما أهل السنة والجماعة فيقولون: مرتكب الكبيرة التي دون الشرك ناقص الإيمان، وهو تحت المشيئة، ليس بكافر ولكنه ناقص الإيمان أو فاسق، أو مؤمن بإيمانه فاسقٌ بكبيرته، لكنه لا يخرج من الإسلام، وهو متعرِّضٌ للوعيد الذي توعد الله به^(٣).

= انظر: الملل والنحل (١/ ٣٠ - ٣٢)، والفرق بين الفرق (ص ١٨، ٩٣، ٩٤)، والبده والتاريخ (٥/ ١٤٢)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٤٦٤)، ووفيات الأعيان (٦/ ٨)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص ٧٩١-٧٩٢).

(١) هم أتباع الجهم بن صفوان أبو محرز الراسبي، مولا هم السمرقندي، الضال المبتدع رأس الجهمية، هلك في زمان صغار التابعين، وقد زرع شرًا عظيمًا، وهو رأس في التعطيل، قُتل سنة ١٢٨ هـ - قتله سلم بن أحوز. انظر: الملل والنحل للشَّهْرَسْتَانِي (١/ ٨٦)، والفرق بين الفرق (ص ١٩٩)، وميزان الاعتدال للذهبي (٢/ ١٥٩)، والتعريفات للجرجاني (ص ١٠٨)، وفتح الباري (١٣/ ٣٤٥)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص ٥٩٠).

(٢) المرجئة: قيل: من الإرجاء، أي: من التأخير؛ لأنهم أخرُوا العمل عن مسمى الإيمان. وقيل: من الرجاء؛ لأنهم يقولون: لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة! وهم فرَّقوا شتى. انظر: (مقالات الإسلاميين) (ص ١٣٢)، و(الفرق بين الفرق) (ص ١٩٠).

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (فَصُلِّ: وَمِنْ أَصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ: أَنَّ الدِّينَ وَالْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ؛ قَوْلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ. وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يُكْفَرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ كَمَا يَفْعَلُهُ الْخَوَارِجُ؛ بَلِ الْأُخُوَّةُ الْإِيمَانِيَّةُ ثَابِتَةٌ مَعَ الْمَعَاصِي؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي آيَةِ الْقِصَاصِ: ﴿فَمَنْ عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأَتْبَاعُ الْيَاكُوفِ﴾، وَقَالَ: ﴿وَلَنْ تُلَاقِيَانِ مِنْ =

فالبدعة أشدُّ من الكبائر؛ من وجهٍ أن البدعة إحداثٌ في الدين لم يشرعه الله، فصاحبها يظنُّ أنها من الدين، أما مرتكب الكبيرة فلا يدَّعي أن ما فعله من الدين، بل يعترف أنه عاصٍ، وأنه مخالفٌ، ولكن قاذئُه الشهوة فوقه في المعصية، ولا يدَّعي أن هذا دينٌ، بخلاف المبتدع؛ فهو يظن أن هذا من الدين؛ فلذلك صارت البدعة أشدَّ من الكبيرة.

وكذلك صاحب الكبيرة يعرف أنه مخطئٌ ويريد أن يتوب، بخلاف صاحب البدعة؛ فإنه لا يعترف أنه مخطئٌ، بل يرى أنه مُصيب، وأن عمله هذا صحيح؛ ولذلك قلَّ أن يتوب المبتدع؛ لأنه يرى أنه على حق، بخلاف العاصي وإن كان مرتكبًا لكبيرة؛ فإنه يرى أنه مخطئٌ ويخاف من العقوبة، وكثيرًا ما يتوب أصحاب الكبائر. هذا وجهُ كونِ البدعة أشدَّ من الكبيرة.



=الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴿١٠١﴾ وَلَا يَسْلُبُونَ فَلَاسِقَ الْمَلِيٍّ اسْمَ الْإِيمَانِ بِالْكَلْبَةِ، وَلَا يَجْلِدُونَهُ فِي النَّارِ كَمَا تَقُولُهُ الْمُعْتَرِلَةُ، بَلِ الْفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الْإِيمَانِ، فِي مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾. وَقَدْ لَا يَدْخُلُ فِي اسْمِ الْإِيمَانِ الْمُطْلَقُ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾، وَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهَبُ نَهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ». وَيَقُولُونَ: هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الْإِيمَانِ، أَوْ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ فَاسِقٌ بِكِبِيرَتِهِ؛ فَلَا يُعْطَى الْإِسْمَ الْمُطْلَقُ، وَلَا يُسَلَّبُ الْمُطْلَقُ الْإِسْمُ. انظر: (العقيدة الواسطية) ضمن مجموع الفتاوى (٣/ ١٥١، ١٥٢).

وَقَوْلِهِ عَزَّجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ

يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

الشرح

البدعة قد تكون شرًّا، وقد تكون دون ذلك، وهي أقسام: منها بدعة
شركية تُخرج من الدين: كدعاء غير الله، والاستغاثة بالأموات، والذبح
للقبور، فهذه بدعة شركية لا يغفرها الله إلا بالتوبة، فإذا مات الإنسان عليها
فهو مخلدٌ في النار: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾، والشرك ابتداءً؛ لأن
الله جلَّ وعلا خلق الخلق لعبادته، فإذا عبدوا معه غيره فقد أحدثوا في دين الله ما
ليس منه، وهذا أعظم البدع، فالشرك أعظم البدع -والعياذ بالله-؛ لأنه شرُّ
دينٍ لم يأذن الله به، ولا يرضى به.



وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٤٤].

————— الشَّرْحُ —————

ومن وجوه كون البدعة شرًّا من الكبيرة: أن المبتدع يفترى على الله الكذب، ويقول: (هذا شرع، هذا دين، وهذا فيه أجر وثواب)، فهو يفترى على الله الكذب، بخلاف العاصي؛ فإنه لا يدّعي أن هذا دين؛ لأنه يعرف أنه عاصٍ، أما المبتدع فهو يفترى على الله الكذب حيث يقول: (إن هذا من الدين، وإن هذا يقرب من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى)!

ثم إن العاصي لا يُقتدى به، بل الناس يذمُّونه، بخلاف المبتدع؛ فإنه يُقتدى به الناس ويتعبدون ببدعته، فهو شرٌّ من مرتكب الكبيرة.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٤٤]؛ لأنهم يتبعونه، خصوصًا إذا كان له نصيبٌ من العلم أو عنده عبادةٌ وتقىٌ وورعٌ، فالناس يغترُّون به، ويقتدون به في بدعه، بخلاف الزاني وشارب الخمر؛ فهذه كبائرٌ، والناس لا يقتدون بفاعلها، بل يَمَقُّتونه ويذمُّونه. فهذا أيضًا من وجوه كون البدعة شرًّا من الكبيرة.



وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ [النحل: ٢٥].

الشرح

وكذلك المبتدع يتحمل وزره ووزر من اقتدى به يوم القيامة؛ لأنه قدوة يقتدي به الناس، يظنون أنه على حق، وأن فعله عمل طيب، خصوصاً إذا كان يدعو إلى البدعة ويحسّنها، فإنه يتحمل وزره ووزر من اقتدى به واتّبعه، وهذا خطر عظيم، وهو خطر البدع والمحدثات، وكم من بدعة انتشرت في الناس وتوارثوها جيلاً بعد جيل بسبب المبتدع الأول الذي اخترعها، فيكون عليه نصيب من آثام كل من اتّبعه، أي: عليه مثل أوزارهم، فالمبتدع يحملون ﴿أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ [النحل: ٢٥]. نسأل الله العافية.

فهذا فيه التحذير من البدع، وأنه يلحق صاحبها إثم كبير أكبر من إثمه في نفسه، بل كل من عمل بهذه البدعة فإنه يلحق صاحبها الأول إثم من عمل بها؛ ولهذا جاء في الحديث: «لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا؛ لِأَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ»^(١)؛ لأنه قتل أخاه ظلماً وعدواناً، فهو أول من سنّ القتل؛ لذلك كل من قتل نفساً بغير حق يلحق ابن آدم الأول كِفْلٌ - أي: نصيب كبير - من دمها، والعياذ بالله.

(١) أخرجه البخاري (٣٣٣٦)، ومسلم (٢٧) (١٦٧٧) من حديث عبد الله بن مسعود

وَفِي الصَّحِيحِ، أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي الْخَوَارِجِ: «أَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ»^(١) «لَئِنْ لَقِيتُهُمْ لَاَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ».

الشرح

من البدع المستقبحة: بدعة الخوارج، والخوارج: هم الذين يخرجون على ولاة أمور المسلمين، فيخلعون السمع والطاعة، ويخرجون عليهم بالسيف، ويكفرون المسلمين بالكبائر التي دون الشرك، هؤلاء هم الخوارج، وقد أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقتلهم؛ لكف شرهم والقضاء على بدعتهم؛ لأن السنة والشرعية يَحْتَانِ على السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين؛ لما يترتب على ذلك من المصالح العظيمة، واجتماع الكلمة، وحقن الدماء، والحكم بالشرعية، وإقامة الحدود والجihad، وغير ذلك من المصالح العظيمة، فإذا انتقض الأمر ضاعت هذه المصالح، وانتشرت الفوضى، وسفكت الدماء، ونُهبت الأموال، وانتهكت الأعراض، وعُطِّلَت الحدود، إلى غير ذلك من الأمور، فالاجتماع والسمع والطاعة لولاة أمور المسلمين فرض على المسلمين؛ من أجل قيام مصالح الدنيا ومصالح الدين.

(١) أخرجه البخاري (٣٦١١، ٥٠٥٧، ٦٩٣٠)، ومسلم (١٥٤) (١٠٦٦) من حديث عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «فَإِنْ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وأخرجه البخاري (٣٣٤٤، ٤٣٥١، ٧٤٣٢)، ومسلم (١٤٣) (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ، لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَاَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ».

أَمَّا مَنْ خَرَجَ عَنْ هَذَا فَقَدْ ابْتَدَعَ فِي دِينِ اللَّهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ، وَإِنْ كَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ يُنْكِرُونَ الْمُنْكَرَ، وَيَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ فَإِنَّهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ مُبْتَدِعَةٌ وَخَارِجُونَ عَنْ شَرَعِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالَّذِي ارْتَكَبُوهُ مِنَ الْمُنْكَرِ أَشَدُّ مِنَ الْمُنْكَرِ الَّذِي يَزْعُمُونَ أَنَّ وَلِيَّ الْأَمْرِ فَعَلَهُ، أَوِ الَّذِي وَقَعَ مِنْهُ بِالْفِعْلِ؛ فَإِنَّهُ حَتَّى لَوْ كَانَ فَعَلَهُ فَالْخُرُوجُ عَلَيْهِ أَشَدُّ مَفْسَدَةً مِنْ مَفْسَدَةِ تَرْكِ الْإِنْكَارِ عَلَيْهِ عَلَانِيَةً، فَيَجِبُ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ.

وَأَوَّلُ بَذَرَةِ الْخَوَارِجِ كَانَتْ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حِينَمَا قَالَ ذُو الْخَوِصِرَةِ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اعْدِلْ! قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيْلَكَ! وَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ؟! قَدْ خَبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ»، فَلَمَّا ذَهَبَ الرَّجُلُ قَالَ: «إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضَيْضِي هَذَا قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ رَطْبًا لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»^(١).

وَفِي رَوَايَةٍ: «لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَا قَتْلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»^(٢) عَادُ: الْأُمَّةُ الْمَعْرُوفَةُ، وَهَمَّ قَوْمٌ هُودٌ، وَقَدْ قَتَلَهُمُ اللَّهُ شَرًّا قِتْلَةٍ؛ بَأْنَ سَلَّطَ عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿تَنْزِعُ النَّاسَ كَانَتْهُمْ أَعْمَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ [الْقَمَرُ: ٢٠]، ﴿تَنْزِعُ النَّاسَ﴾: أَيُّ: تَحْمِلُ النَّاسَ إِلَى عَنَانِ السَّمَاءِ، ثُمَّ تَنْكَسُهُمْ عَلَى رُؤُوسِهِمْ، فَتَنْدُقُ أَعْنَاقَهُمْ، وَلِكِبَرِ أَجْسَادِهِمْ ﴿كَانَتْهُمْ أَعْمَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾: أَيُّ: جَذُوعُ النَّخْلِ الْمَجْتَثُ؛ لِأَنَّ لَهُمْ أَجْسَادًا كَبِيرَةً طَوِيلَةً.

فَالْخَوَارِجُ أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِيقَاعِ الْعُقُوبَةِ الرَّادِعَةِ عَلَيْهِمْ كَعُقُوبَةِ قَوْمِ عَادٍ؛ لَشَرِّهِمْ وَفُسَادِهِمْ، وَنَشْرِهِمُ الشَّرَّ بِسَبَبِ مَذْهَبِهِمْ وَخُرُوجِهِمْ، فَهُمْ

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٤٤) (١٠٦٦) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) سبق تخريجه في الصفحة السابقة.

فئة ضالَّةٌ، وفيها خطر على الأمة، وليس الخطر على ولادة الأمور فقط، بل على الأمة عموماً؛ ولذلك يجب على وليِّ أمر المسلمين وعلى المسلمين معه أن يقتلوهم؛ كفاً لشركهم، ولذلك قاتلهم أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب -رضي الله تعالى عنه-، وكان بينهم مَقْتَلَةٌ عظيمة في النَّهْرَوان، نصره الله عليهم، وخفض شوكتهم، وما زال ولادة الأمور والمسلمون يقتلونهم كلما خرج منهم طائفة، وفي الحديث: «كُلَّمَا خَرَجَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ»^(١)، والحمد لله، فهُم فئة خطيرة على المسلمين، مذهبهم أنهم يرون خلع السمع والطاعة، والخروج على وليِّ الأمر بالسلاح، وتكفير وليِّ الأمر وتكفير المسلمين، ويستحلُّون دماءهم، وفي الحديث: «يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ»^(٢)، هذا تاريخ الخوارج، لم يُذكر أنهم قاتلوا الكفار أبداً، وإنما يقتلون المسلمين ويستحلون دماءهم وأموالهم! نسأل الله العافية.



(١) أخرجه ابن ماجه (١٧٤)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وأحمد (٤٥٦ / ١١) من حديث

عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٤٣) (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وَفِيهِ: أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ قِتَالِ أُمَرَاءِ الْجَوْرِ مَا صَلَّوْا^(١).

الشرح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَفِيهِ) أي: في الصحيح، وهذا في (صحيح مسلم).
(أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ قِتَالِ أُمَرَاءِ الْجَوْرِ) يعني: الأُمراء العصاة، الذين يجورون في الحكم ويظلمون الناس، ولو كانوا فُسَّاقًا؛ فإنها لا تنخلع طاعتهم، وفِسْقُهُمْ ضرُّهُ عليهم، وأما فعل الخروج فضرره على المسلمين، وهذا من ارتكاب أخفِّ المفسدين لدفع أعلاهما، لا شك أن المعصية ضرر، ولكن الخروج على وليِّ الأمر من أجلها وشق عصا الطاعة فيه ضرر أكثر.

وفي قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا صَلَّوْا» هذا دليل على مكانة الصلاة في الإسلام، وأن من ترك الصلاة فقد كفر، بخلاف الذين يقولون: (الدين ليس هو الصلاة، وأن الإنسان مسلم ولو لم يُصَلِّ)، فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منع من القتل ومنع من الخروج على وليِّ الأمر ما دام يصلي، وإن كان عنده مخالفات ومعاصٍ دون الكفر فإنه يُصَبِّرُ عليه؛ لما في ذلك من المصلحة العظيمة التي تَرَبُّوْا على مفسدة معصيته في نفسه؛ فإن معصيته ضررُها قاصر عليه هو، أما شقُّ عصا الطاعة والخروج فضرره على الإسلام والمسلمين.

(١) إشارة إلى حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الذي أخرجه مسلم (٦٢) (١٨٥٤)، وفيه: «سَتَكُونُ أُمَرَاءُ، فَتَعْرِفُونَ وَتُنْعِرُونَ، فَمَنْ عَرَفَ بَرِيءًا، وَمَنْ أَنْكَرَ سَلِيمًا، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ». قَالُوا: أَفَلَا نَقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: «لَا، مَا صَلَّوْا».

والحديث أصله أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «خِيَارُ أُمَّتِكُمْ: الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ. وَشِرَارُ أُمَّتِكُمْ: الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نُنَابِذُهُم بِالسَّيْفِ؟ فَقَالَ: «لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وَلَا تَكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ، فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ، وَلَا تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ»^(١).



(١) أخرجه مسلم (٦٥) (١٨٥٥) من حديث عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ^(١).

الشرح

سبب هذا الحديث أنه جاء قومٌ من مُضَرَ إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَدَأَ عليهم الفقر والحاجة، وملابسهم رثة، فَرَّقَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم؛ لأنه كان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ نَبِيَّ الرَّحْمَةِ، فَلَمَّا رَأَى حَالَهُمْ وَبُؤْسَهُمْ وَفَقْرَهُمْ رَقَّ لَهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فنادى بالصلاة، ثم اجتمع الناس، ثم خطب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحثَّ على الصدقة، ورغَّب فيها، فجعل الناس يتصدقون، هذا يتصدق بالقبضة من الطعام، وهذا يتصدق بكذا وكذا، حتى جاء رجل معه صُرَّةٌ من الذهب كادت يده أن تعجزَ عنها، ووضعها بين يدي الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَهَلَّلَ وجهُ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسُرَّ بذلك سرورًا عظيمًا، وتتابع الناس لَمَّا رَأَوْا هذا الرجل، فَنَشِطُوا على الصدقة، وتتابعوا عليها، حتى اجتمع شيءٌ كثير من الصدقات عند الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ»؛ لأن هذا الرجل سَنَّ سنة حسنة، واقتدى به الناس وتصدقوا.

(١) أخرجه مسلم (٦٩) (١٠١٧) من حديث جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومعنى: «سَنٌّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةٌ حَسَنَةٌ» يعني: أحيا سُنَّةً؛ لأن الصدقة سُنَّةٌ، فهذا الرجل أحياها، وأتى بها كثير، فتشجع الناس وتتابعوا للصدقة، فكان هو السبب في هذا؛ فله أجرها وأجر من عمل بها، وهذا عامٌّ، وأما سبب الحديث فهو هذه القصة، لكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فهذا الحديث عامٌّ في كلِّ مَنْ فَعَلَ خَيْرًا واقتدى به الناس في ذلك الخير، أيًّا كان هذا الخير، إذا اقتدى الناس به فيه أصبح قدوة حسنة؛ فله أجر عمله، وأجر من اقتدى به.

«وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً» هذه هي البدعة، أي: أحدث بدعة ليس لها أصلٌ «كَانَ عَلَيْهِ وَزْرُهَا وَوَزُرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ».

فهذا فيه التحذير من البدع، وفيه الحثُّ على إحياء السنن؛ لأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أثنى على هذا الذي أحيا هذه السُنَّةَ، وفيه التحذير من إحياء البدع، وإحداث البدع، وأن شرها لا يقتصر على من فعلها، بل يذهب قِسْطُ منه إلى من أحدث هذه البدعة، طال الزمن أم قَصُر، فهذا فيه التحذير من البدع، وأنها سُنَنٌ سيئة، والمراد بالسنة في اللغة: الطريقة.



وَلَهُ مِثْلُهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَلَفْظُهُ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى...»، ثُمَّ قَالَ: «وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ...»^(١).

الشرح

في هذا الحديث أن: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا»، هذا فيه فضل الدعوة إلى الله عَزَّجَلَّ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن الأجر لمن فعل ذلك: أنه يحصل له أجره، ويحصل له مثل أجور من اقتدوا به، وساروا على منهجه إلى يوم القيامة، فالله جَلَّوَعَلَا يقول: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣] فالدعوة إلى الله فضلها عظيم، وخيرها كثير، وهي سُنَّةُ الرَسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، أما الذي يدعو إلى الضلال والبدع والمحدثات، كالذي يدعو إلى عبادة القبور والأضرحة، فإنه يدعو إلى ما يخالف الدين، مثلما هو حاصل الآن من الترغيب في البدع والمعاصي والمخالفات، فمن فعل ذلك فعليه إثمُه، وإثم من اقتدى به وسلك منهجه إلى يوم القيامة.

(١) أخرجه مسلم (١٦) (٢٦٧٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهذا فيه التحذير من دعاة الضلال، ويدخل في هذا: الدعاة إلى البدعة؛ لأن البدعة ضلالة؛ كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٍ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»^(١)، فالذي يدعو إلى البدع يدعو إلى الضلال، ويكون عليه إثمُه، وإثمٌ من اقتدى به.



(١) سبق تخريجه (ص ٨٣).

بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ اللَّهَ

اِخْتَجَزَ التَّوْبَةَ عَنْ صَاحِبِ الْبِدْعَةِ^(١)

هَذَا مَرْوِيٌّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَمِنْ مَرَايِلِ الْحَسَنِ.

الشرح

قال رحمه الله: (بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ اللَّهَ اِخْتَجَزَ التَّوْبَةَ عَنْ صَاحِبِ الْبِدْعَةِ) هذا في بيان الوجوه التي تكون فيها البدعة شرًّا من الكبيرة، فمن الوجوه: أن صاحبها لا يوفق للتوبة، ويُصِرُّ على بدعته، هذا هو الغالب؛ لأنه يرى أنه على حق، وأنه مصيب، وأن ما عمله من الدين، وأنه خير؛ فلا يفكر أن يترك البدعة، بخلاف العاصي؛ فإنه يعرف أنه مخطئ، وأنه مخالف، ويخاف من الله، ويتوقع العقوبة، فلذلك سُرْعَانَ ما يتوب العاصي ويخجل، بخلاف المبتدع؛ فإنه لا تظهر عليه الندامة، ولكنه مسرور ببدعته، ويدعو إليها، فهذا من مساوي البدع: أن صاحبها يقع فيها، ويدعو إليها، ومن مساوي البدع: أن صاحبها لا يوفق للتوبة، بخلاف مرتكب الكبيرة؛ فإنه كثيرًا ما يوفق للتوبة. هذا الأثر: «إِنَّ اللَّهَ اِخْتَجَزَ التَّوْبَةَ عَنْ صَاحِبِ الْبِدْعَةِ» مرويٌّ عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرفوعًا، ومرسلًا عن الحسن.

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٤ / ٢٨١)، وابن أبي عاصم في السنة (١ / ٢١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧ / ٥٩) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٩ / ١٨٩): (ورجاله رجال الصحيح غير هارون بن موسى الفروي، وهو ثقة). وقال المنذري في الترغيب والترهيب (١ / ٤٥): (إسناده حسن)، ولفظه: «إِنَّ اللَّهَ حَجَزَ - أَوْ قَالَ: حَجَبَ - التَّوْبَةَ عَنْ كُلِّ صَاحِبِ بَدْعَةٍ».

وَذَكَرَ ابْنُ وَضَّاحٍ ^(١) عَنْ أَيُّوبَ، قَالَ: كَانَ عِنْدَنَا رَجُلٌ يَرَى رَأْيًا، فَتَرَكَهُ، فَأَتَيْتُ مُحَمَّدَ بْنَ سِيرِينَ، فَقُلْتُ: أَشَعَرْتَ أَنَّ فُلَانًا تَرَكَ رَأْيَهُ؟ قَالَ: انْظُرْ إِلَى مَاذَا يَتَحَوَّلُ؛ إِنَّ آخِرَ الْحَدِيثِ أَشَدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ أَوَّلِهِ: «يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ثُمَّ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ» ^(٢).

وَسُئِلَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ عَنْ مَعْنَى ذَلِكَ، فَقَالَ: لَا يُوفِّقُ لِلتَّوْبَةِ.

الشرح

هذا رجل كان على بدعة الخوارج فتركها، فسرَّ الذي رآه وفرح، وذهب لمحمد بن سيرين، وهو من أئمة التابعين رَحِمَهُ اللهُ، وبشَّره أن فلانًا تحوَّلَ عن رأيه، فما سرَّ ابنُ سيرين بذلك، بل قال له: «انْظُرْ إِلَى مَا يَتَحَوَّلُ»؛ لأنه ليس بتارك البدعة إلى السنة، ولكن إلى بدعة ثانية، هذا من فقهه رَحِمَهُ اللهُ، لماذا؟ لأن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، ثُمَّ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ»، فابن سيرين لم يتوقع منه التوبة من البدعة، ولكن توقع منه أن يخرج من بدعته إلى بدعة شرَّ منها؛ لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، ثُمَّ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ»، وهذا هو الغالب عليهم، وهذا مشاهد في خوارج اليوم، لو تنذرهم ليلاً ونهاراً، وتحذَّروهم وتُنذِرهم ما تحوَّلوا عن بدعتهم أبداً، هذا شيء مشاهد؛ لأنهم يَرُونَ أنهم

(١) انظر: البدع لابن وضاح (ص ١٠٨).

(٢) قاله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الخوارج؛ كما رواه مسلم (١٠٦٧) بلفظ: «ثُمَّ لَا يَعُودُونَ فِيهِ» من حديث أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

على حق، وعلى صواب، ويُزَيَّنُ لهم الشيطان هذا، فلا يرون أنهم إلا على حق، فالإنسان إذا لم يعترف بالخطأ فإنه يُبتلى بما هو أشدُّ، وهذا شأن المبتدعة، وهذا من فقه الإمام محمد بن سيرين رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ لَا يَتَوَقَّعُ أَنْ يَتُوبَ الْخَارِجِيُّ مِنَ الْبِدْعَةِ، لَكِنْ تَوَقَّعُ مِنْهُ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى بَدْعَةٍ أَشَدَّ؛ وَذَلِكَ أَخْذًا مِنْ قَوْلِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، ثُمَّ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ»، فَالرَّسُولُ لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، وَلَا بَدَأَ أَنْ يَقَعَ مَا أَخْبَرَ بِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: (وَسُئِلَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ عَنْ مَعْنَى ذَلِكَ، فَقَالَ: لَا يُوقَفُ لِلتَّوْبَةِ) سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ، ثُمَّ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ»، فَقَالَ: (لَا يُوقَفُونَ لِلتَّوْبَةِ)؛ لِأَنَّ التَّوْبَةَ هِيَ الرَّجُوعُ، يَقَالُ: تَابَ: إِذَا رَجَعَ، تَابَ أَوْ أَنَابَ: إِذَا رَجَعَ عَنْ خَطِيئَةٍ، فَهُمْ لَا يَتُوبُونَ.



بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿يَتَاهَلُ الْكِتَابَ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَمَا كَانَ

مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٥-٦٧].

الشرح

أهل الكتاب هم: اليهود، والنصارى. لما دعاهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الإسلام وقال: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، قالوا: لا نتبعك، نحن على دين إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام. فإله جَلَّ وَعَلَا رَدَّ عليهم، وقال: ﴿إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨]. ثم قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَتَاهَلُ الْكِتَابَ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ [آل عمران: ٦٥] يعني: أن كلاً منكم يدّعي أن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام على دينه؛ فاليهود يقولون: إن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام كان يهودياً، والنصارى تقول: إن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام كان نصرانياً^(١). يا سبحان الله! التوراة والإنجيل متى أنزلت؟ لم تنزل إلا بعد إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام بمدة طويلة، فكيف

(١) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٤٨٠)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/ ٢٩١)، والقرطبي (٤/ ١٠٧)، وابن كثير (٢/ ٥٧).

قال السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٣٥): (أَخْرَجَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ هَبَّاقٍ فِي الدَّلَائِلِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: اجْتَمَعَتْ نَصَارَى نَجْرَانَ وَأَحْبَارُ يَهُودَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَنَازَعُوا عِنْدَهُ، فَقَالَتِ الْأَحْبَارُ: مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ إِلَّا يَهُودِيًّا، وَقَالَتِ النَّصَارَى: مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ إِلَّا نَصْرَانِيًّا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿يَتَاهَلُ الْكِتَابَ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ (الآية) اهـ.

يكون إبراهيم يهوديًا أو نصرانيًا؟! هذا يكذبه الواقع ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ لِمَنْ تَحَاجُّوتَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾. هذا لا يقوله عاقل: أن المتقدم يتبع المتأخر! بل العكس هو الصحيح: المتأخر يتبع المتقدم، فليس إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ يهودي؛ لأن التوراة ما أنزلت إلا بعده، ولا بنصراني؛ فالإنجيل نزل بعده على عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فهذا من العبث بالعقول، والتضليل المكشوف.

﴿وَلَكِنْ كَانَتْ خَفِيفًا﴾ أي: مخلصًا لله عَزَّوَجَلَّ في العبادة ﴿مُسْلِمًا﴾ يعني: موحدًا، فالإسلام هو التوحيد، وهو دين جميع الأنبياء، وهو أفراد الله جَلَّوَعَلَا بالعبادة، وإن اختلفت شرائعهم، فكلُّ شريعة كانت لحاجة تلك الأمة؛ حسبَ مصلحتها، فالإسلام هو: عبادة الله وحده لا شريك له، بما شرعه في كل وقتٍ بحسبه، فالذين آمنوا بالتوراة وعملوا بها في وقت العمل بها كانوا مسلمين، والذين آمنوا بالإنجيل وعملوا به في وقت العمل به كانوا مسلمين، والذين آمنوا بالقرآن وعملوا به في وقته هم مسلمون؛ لأن الجميع موحدون، فالتوحيد هو دين جميع الرسل، والإسلام هو دين جميع الرسل -عليهم الصلاة والسلام-.



وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ

أَصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠].

الشرح

قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ يعني: من يتركها، فالرغبة عن الشيء: تركه، أما الرغبة في الشيء فإنها: طلبه.

ومِلَّةُ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ هي التوحيد والإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ.

﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ والسَّفَهُ هو: الخِفَّةُ في العقل^(١)، فهو سفیه في نفسه، وهو يزعم أنه عاقل، وأنه حكيم، ومدرک للأُمور، ولكنه في الحقيقة سفیه، فالذي يترك مِلَّةَ إبراهيم سفیه.

﴿وَلَقَدْ أَصْطَفَيْنَاهُ﴾ يعني: اخترنا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

﴿فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمُ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿أَخْلَصَ دِينَهُ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَتَرَكَ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ، وَكَسَرَهَا وَحَطَمَهَا، وَتَبَرَّأَ مِنْ أَهْلِهَا، وَحَصَلَ لَهُ مَا حَصَلَ مِنَ الْإِيزَاءِ عَلَى ذَلِكَ.

﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمُ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿أَسْلِمُ﴾ يعني: انقَدَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ عَزَّوَجَلَّ، وَلَا تَنْقَدُ لغيره.

(١) انظر: العين (٩/٤)، وتهذيب اللغة (٨١/٦)، والصَّحاح (٢٢٣٤/٦)، ومقاييس اللغة (٧٩/٣).

وَفِيهِ: حَدِيثُ الْخَوَارِجِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ.

وَفِيهِ: أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ آلَ أَبِي فَلَانٍ لَيُسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ، إِنَّمَا أَوْلِيَائِي الْمُتَّقُونَ»^(١).

الشرح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَفِيهِ: حَدِيثُ الْخَوَارِجِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ) أي: في هذا الباب الحديث الذي في أول الباب الذي قبله: «يَمُرُّونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمُرُّ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، ثُمَّ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ»، هذه بدعة الخوارج.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيُسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ» من الولاية: وهي المحبة، أما الولاية بالكسر: فهي الملك والسلطة^(٢).

فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتبرأ ممن ليس على دين التوحيد، ولو كان من أقاربه في النسب؛ فإنه لا يحبه، وليسوا له بأولياء، يعني: لا يحبهم ما داموا على غير دينه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكن أولياء الرسول هم المتقون، سواء كانوا

(١) أخرجه البخاري (٥٩٩٠)، ومسلم (٣٦٦) (٢١٥)، من حديث عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللَّهُ، وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ».

وأخرج أبو داود (٤٢٤٢)، وأحمد (٣٠٩/١٠) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وفيه: «... ثُمَّ فَنَنُ السَّرَّاءِ، دَخَلَهَا أَوْ دَخَنُهَا مِنْ تَحْتِ قَدَمِي رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنِّي، وَلَيْسَ مِنِّي؛ إِنَّمَا وَلِيِّيَ الْمُتَّقُونَ...».

(٢) الولاية بالكسر: السلطان، والولاية بالفتح والكسر: النصرة، والوليُّ ضدُّ العدوِّ، يقال منه: تَوَلَّاهُ، وَكُلُّ مَنْ وَلِيَ أَمْرًا وَاحِدًا فَهُوَ وَلِيُّهُ، وَالْمَوْلَى: الْمُعْتَقُ وَالْمُعْتَقُ. انظر: مختار الصحاح (ص ٣٠٦)، ولسان العرب (٤٠٦/١٥)، والمصباح المنير (٦٧٢/٢).

من أقاربه أو من غيرهم، فسلمانُ الفارسيُّ وبلالُ بن رباحِ الحبشيُّ وصُهَيْبُ
الرُّومِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، هؤلاء ليسوا من أقاربه، وإنما هم من الموالي، ومع هذا
صاروا أقربَ الناسِ إلى الرسولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأحبَّهم إليه؛ لأنهم مؤمنون،
بينما أبو لهب عدوٌّ له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو عمه أخو أبيه، ومع هذا فقد تبرَّأ
منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فليست المسألة مسألة قرابة، ولا شرفَ للقرابة من الرسولِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدون الدين، أما إذا كان على دين الرسولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فله شرف
القرابة وشرف الدين، فيجتمع له الشرفان، أما إذا لم يكن عنده دينٌ فلا تنفعه
صلة القرابة أبداً مع مخالفة الدين؛ ولهذا تبرَّأ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من آل أبي فلانٍ،
فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسُوا بِي بِأَوْلِيَاءَ»؛ فإن أولياءه المتقون، من أي جنس
كانوا.

فهذا فيه البراءةُ من المشركين، ولو كانوا من قرابة الرسولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
وفي الحديث: «وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، ثُمَّ يُسْرِعُ بِهِ نَسَبُهُ»^(١).



(١) أخرجه مسلم (٣٨) (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَفِيهِ أَيْضًا عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ لَهُ أَنَّ بَعْضَ الصَّحَابَةِ قَالَ: أَمَّا أَنَا فَلَا أَكُلُ اللَّحْمَ، وَقَالَ آخَرُ: أَمَّا أَنَا فَأَقُومُ وَلَا أَنَامُ، وَقَالَ آخَرُ: أَمَّا أَنَا فَلَا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَقَالَ آخَرُ: أَمَّا أَنَا فَأَصُومُ وَلَا أَفْطِرُ. فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَكِنِّي أَقُومُ وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأَفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَأكُلُ اللَّحْمَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي، فَلَيْسَ مِنِّي»^(١).

فَتَأَمَّلْ: إِذَا كَانَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ لَمَّا أَرَادَ التَّبَتُّلَ لِلْعِبَادَةِ، قِيلَ فِيهِ هَذَا الْكَلَامُ الْغَلِيظُ، وَسُمِّيَ فِعْلُهُ رُغُوبًا عَنِ السُّنَّةِ، فَمَا ظَنُّكَ بِغَيْرِ هَذَا مِنَ الْبِدْعِ؟! وَمَا ظَنُّكَ بِغَيْرِ الصَّحَابَةِ؟!

الشرح

هذا الحديث في الصحيح. هؤلاء جماعة من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يرغبون في الخير والعبادة والطاعة، فجاؤوا يسألون عن عبادة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأجل أن يقتدوا به، فلما أُخبروا عن عبادته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكأنهم تَقَالُّوها، ثم قالوا: الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس مثَلنا؛ فالرسول غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؛ فهو ليس بحاجة إلى العبادة، فلما بلغ ذلك الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَضِبَ واشتد غضبه، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا؟ أَمَّا وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَتَقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَقُومُ وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأَفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَأكُلُ اللَّحْمَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي، فَلَيْسَ مِنِّي».

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).

فهذا فيه التحذير من الغلو في العبادة، وهو الزيادة والتشديد على النفس، فالدين وسطٌ - والله الحمد - واعتدالٌ، فلا تُشَقَّ على نفسك وتحملها ما لا تطيق، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حذَّر من الغلو في أحاديث كثيرة، وهو الزيادة في العبادة، بل عليك أن ترفق بنفسك، والإنسان إذا اقتصد في العبادة وتوسَّطَ فيها، فإنه يداوم عليها، أما إذا اشتد في العبادة فإنه يَمَلُّ ويتركها، هذا شيء معروف؛ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْمُنْبَتَّ لَا أَرْضًا قَطَعَ، وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى»^(١)، والإنسان بشرٌ لا يتحمل، فإذا شَدَّدَ على نفسه لم يستطع، وفي النهاية يترك العمل، وهذا مشاهد معروف، فهناك أناس رأيناهم يتشددون ثم في النهاية انحلوا من الدين، كان هؤلاء عُرِفَ عنهم التشدد والغلو، وفي النهاية أصبحوا منحرفين عن الدين، هذه آفة الغلو - والعياذ بالله -، أما الاعتدال والتوسط فهذه سبيل إلى الاستمرار والثبات، وهذه هي سنة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهذا فيه الحثُّ على الاقتصاد في العبادة، والاقتداء بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وترك الغلو والتشدد؛ لأن هذا بدعة مخالفة لسنة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي، فَلَيْسَ مِنِّي» هذا كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾، وقد تبرأ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منه؛ فهذا فيه التحذير من بدعة الغلو، وبدعة التشدد، والحثُّ على الاعتدال والتوسط في الأمور كلها، والدين وسطٌ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣] هذا هو السبيل الصحيح، وهو طريقة

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٤٠٤)، وابن المبارك في الزهد والرقائق (١/ ٤١٥)، ووكيع في الزهد (١/ ٤٨٩) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا يَتَقَالَّ الإنسان المسلمَ عَمَلَ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هو القدوة: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١]، فهذا ليس تساهلاً ولا غُلُوًّا، ولكنه توسُّطٌ؛ لا إفراط ولا تفريط، ودين الله بين الغالي والجافي، الغالي: المتشدد، والجافي: المنحلّ الذي يقول: (إن الدين ليس بالصلاة والعبادة، الدين بالقلب)، ويترك الأعمال! هذا جافٍ، وكذلك الذي يتشدد في العبادات ويشق على نفسه، فهو غالٍ، والدين هو الوسط والاعتدال؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا﴾ [هود: ١١٢] الطغيان هنا: التشدد والغلو، والعياذ بالله.

(فتأمل: إِذَا كَانَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ لَمَّا أَرَادَ التَّبَتُّلُ لِلْعِبَادَةِ، قِيلَ فِيهِ هَذَا الْكَلَامُ الْغُلِيظُ، وَسُمِّيَ فِعْلُهُ رُغُوبًا عَنِ السُّنَّةِ، فَمَا ظَنُّكَ بِغَيْرِ هَذَا مِنَ الْبِدْعِ؟! وَمَا ظَنُّكَ بِغَيْرِ الصَّحَابَةِ؟! إِذَا كَانَ هَؤُلَاءِ صَحَابَةً، وَالصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هم خير القرون، ولَمَّا هُمُوا بهذه المهمة أنكر عليهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وغلظ عليهم، وهم صحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فكيف بغيرهم من متأخري القرون الذين تجاوزوا الحدود في الغلو والتطرف، أو في التساهل والميوعة؟!)

فدين الله جَلَّ وَعَلَا وَسَطٌ واعتدال وصراط مستقيم، ليس فيه مَشَقَّةٌ على النفوس، وليس فيه تساهلٌ وضياع، وإنما هو دينٌ سَمَحٌ ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، فالله عَزَّوَجَلَّ لا يريد أن يجعل عليكم من حرج، فالدين ليس فيه حرجٌ ولا تشدُّدٌ ولا غُلُوٌّ، كما أنه ليس فيه تساهلٌ؛ وإنما

هو وَسْطُ بين الطرفين، هذه مِلَّةُ محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الاعتدال دائماً وأبداً، ولا يبقى الإنسان على الدين إلا بهذه الطريقة؛ لأنه إذا تساهل خرج من الدين، وإذا تشدد خرج من الدين أيضاً، ولا يثبت إلا إذا كان على الوسطية والاعتدال.



بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿ فَأَقَمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠].

الشرح

قال رحمه الله: (بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ فَأَقَمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ٣٠) مُبَيِّنَ إِلَيْهِ وَأَتَقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلٌّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فِرْحُونَ ﴾ [الروم: ٣٠-٣٢]) يأمر الله جلَّ وعلا نبيه بهذه الأمور في هذه الآية الكريمة، والشيخ رحمه الله يريد بذلك أن يذكر ما جاء في تفسير هذه الآية الكريمة من الأحاديث النبوية والآثار المروية.

يأمر الله نبيه محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: ﴿ فَأَقَمَّ وَجْهَكَ ﴾ أي: أخلص عملك؛ فإقامة الوجه وإسلام الوجه معناه: إخلاص العمل، كما قال تعالى: ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ١١٢].

﴿ أَسْلَمَ وَجْهَهُ ﴾ يعني: أخلص عمله من الشرك ﴿ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ أي: متبع للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأخلص عمله أيضاً من البدع والمحدثات.

فإذا اجتمع هذا الشرطان: الإخلاص لله بالنية، والاتباع للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في العمل؛ انتفى عن العمل الشرك، وانتفى عنه الابتداع في الدين، هذا هو الذي يَقْبَلُهُ اللهُ عَزَّجَلَّ.

﴿ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ﴾ الدين الذي أَمَرَكَ اللهُ به، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، والدين هو التوحيد، وهو العمل، وهو الصلاة والصيام وجميع ما شرعه الله من العبادات، فهذا هو الدين.

﴿ الْقِيَمُ ﴾ هذا وصف للدين؛ أي: المعتدل، الذي ليس فيه غلو، وليس فيه تساهل، بل هو دينٌ قِيَمٌ معتدل بين طرفي الإفراط والتفريط، كما قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ﴾ [الأنعام: ١٥٣] ﴿ مُسْتَقِيمًا ﴾ يعني: معتدلاً بين الإفراط والتفريط، وبين الغلو والجفاء، هذا هو الدين الذي بعث الله به رسله، وخاتمهم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله: ﴿ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾ الحنيف معناه: المَقْبَلُ على الله، المَعْرِضُ عَمَّا سِوَاهُ^(١)، وفي الآية الأخرى: ﴿ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقِيَمِ ﴾ [الروم: ٤٣]. والحنيف والقيَمُ معناهما واحد، وهو المَقْبَلُ على الله، المَعْرِضُ عَمَّا سِوَاهُ فلا يدعوه مع الله.

ثم قال جَلَّوَعَلَا: ﴿ فِطَرَتَ اللَّهُ إِلَيْنِي فِطْرَ النَّاسِ عَلَيْهَا ﴾ أي: أن هذا الدين وهذا الإسلام هو الفِطْرَةُ التي خلق الله الناس عليها، فالفطرة هي دين

الإسلام^(١)؛ كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «كُلُّ مَوْتُودٍ يُؤَدُّ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»^(٢)، فالأصل في الإنسان أنه مسلم، وأنه مفطور على الإسلام، وهو إخلاص الدين لله عَزَّجَلَّ. هذا هو الأصل فيه، فإذا انحرف فالانحراف طارئٌ عليه؛ بسبب التربية السيئة التي يربِّيها عليها والداه: «يُهَوِّدَانِهِ»: يجعلانه يهوديًا.

«أَوْ يُنَصِّرَانِهِ»: يجعلانه نصرانيًا.

«أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»: يجعلانه مجوسيًا.

فوالداه يغيِّران فِطْرَتَهُ التي فَطَرَهُ الله عليها، ويدلُّ هذا على أن الإنسان مفطور على الإسلام في الأصل، وهو إخلاص العمل والعبودية لله عَزَّجَلَّ، ولو سلِمَ من التربية السيئة والوالدين الكافرين لا تَجِبُ إلى دين الإسلام وأَتَبَعَ الرسل، ولكنه ينحرف بسبب الدعاة إلى الضلال.

ثم قال: ﴿لَا يَبْدِلْ لِحَلْقِ اللَّهِ﴾ لا أحد يَحْلُقُ إنسانًا على الشرك أبدًا، ولا يستطيع أحد أن يخلق إنسانًا على الشرك، بل الله خلقه على التوحيد، ولا أحد يستطيع أن يغيِّر هذا الخلق، وإنما يغيِّر المخلوق، ليس هناك إنسانٌ يُحْلَقُ إلا على دين الإسلام؛ ولهذا جاء في الحديث: «فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبُهَيْمَةُ بِهَيْمَةٍ جَمْعَاءَ، هَلْ تُحْسِنُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ حَتَّى تَكُونُوا أَنْتُمْ تَجْدَعُونَهَا؟» أي: كالشاة التي تولد، تولد كاملة الخلقة،

(١) انظر: تفسير الطبري (٢١/٤٠)، وتفسير القرطبي (١٤/٢٤ - ٣٠)، وزاد المسير لابن الجوزي (٦/٢٩٩، ٣٠٠)، وفتح القدير للشوكاني (٤/٢٢٤)، وروح المعاني للألوسي (٢١/٤٠ - ٤١).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

سليمة الأطراف، سليمة من العيوب، لها أذنان، ثم أهلها يَجْدَعُونَهَا؛ يعني: يشقون أذنها، فلا توجد شاة تولد مشقوقة الأذن، بل تُخْلَقُ كاملة الخلقة، ثم أهلها يَجْدَعُونَهَا؛ أي: يشقون أذنيها، يغيرونها بعد الخلق، يغيرون المخلوق، ولا يغيرون الخلق أبداً، فخلق الله لا يتغير، فالشاة تولد كاملة بأذنها وقرونها وأظلافها وأطرافها، فإن حصل لها عرجٌ أو جدد في قرنها أو أذنها، فإن هذا من تصرف الإنسان، هكذا: ﴿لَا بُدِيلَ لِمَخْلُوقِ اللَّهِ﴾ التبديل إنما هو للمخلوق، وأما الخلق فخاصٌّ بالله عزَّ وجلَّ، لا أحد يتدخل في ذلك.

﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ ذلك الذي أوحاه الله إليك، وهو إفراد الله جلَّ وعلا بالعبادة، وترك عبادة ما سواه ﴿الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ أي: المستقيم المعتدل الذي لا اعوجاج فيه، لا غلو ولا جفاء، لا إفراط ولا تفريط.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يجهلون هذا الدين؛ ولذلك يقعون فيما يقعون فيه من الضلال والانحراف، وإلا فالدين قيِّمٌ مستقيم، وإن حصل انحراف فهو من تصرف الناس.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ انظر إلى قوله: ﴿أَكْثَرُ﴾؛ فهو يفيد أنه لا يُحتجُّ بالكثرة إذا كانت على ضلال وعلى خطأ، وإنما يُحتجُّ بمن كان على الحق ولو كان قليلاً، ولا يُحتجُّ بمن كان على الباطل ولو كان عددهم كثيراً ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لا يعلمون الدين القيِّم؛ ولذلك وقعوا فيما وقعوا فيه من الإخلال بهذا الدين والانحراف عنه.



وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنَئَ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢].

الشرح

﴿وَوَصَّى بِهَا﴾ أي بكلمة التوحيد ﴿إِبْرَاهِيمُ﴾ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿بَنِيهِ﴾ إِسْمَاعِيلُ، وَإِسْحَاقُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ﴿وَيَعْقُوبُ﴾ وهو يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، الذي هو إِسْرَائِيلُ، وَصَّى بِهَا بَنِيهِ أَيْضًا، وَصَّاهُمْ بِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ عَزَّجَلَّ.

والتوصية معناها: أن الموصي عند موته يوصي ذريته، أو مَنْ حَوْلَهُ بتقوى الله عَزَّجَلَّ، والوصية عند الفقهاء: الإذن بالتصرف بعد الموت، هذه هي الوصية^(١)، وتكون بالأموال، وتكون في الدِّين؛ وذلك بالحثِّ على التمسُّك بالدِّين.

فإبراهيم ويعقوب -إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي هو أبو الأنبياء، ويعقوب الذي هو أبو بني إِسْرَائِيلَ- كلاهما أوصى ذريته بكلمة التوحيد، والإخلاص لله عَزَّجَلَّ، والدِّينَ الْحَقَّ، وهكذا يجب على الوالد أن يربي أولاده على طاعة الله، وأن يوصيهم إذا حضره الموت بالثبات على الدِّين، والبقاء على التوحيد، وهذا من حرص الأبوين الكريمين إبراهيم ويعقوب على ذريتهما.

(١) انظر: العين (١٧٧/٧)، وتهذيب اللغة (١٨٧/١٢)، ومقاييس اللغة (١١٦/٦).

وانظر: المغني (١٣٧/٦)، والكافي (٢٦٥/٢)، والعدة (ص ٣٢١).

﴿يَبْقَى﴾ هذا نداء ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ﴾ أي: اختار التوحيد لكم؛ لأنهم أولاد الأنبياء، ومن ذرية الأنبياء؛ فهم أولى أن يتمسكوا بهذا الدين، وأن يكونوا قدوةً للناس.

﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ هذه وصية بالتمسك بالدين إلى الممات؛ وذلك بالعمل به، والثبات عليه، والحذر مما يخالفه من البدع والشرك والدعوة إلى الضلال، فما دام الإنسان على قيد الحياة فإنه عرضة للانحراف واتباع دعاة الضلال إن لم يُثَبِّتْهُ اللَّهُ عَزَّجَلَّ، وهذا فيه دليل على أن العبرة بالخاتمة.

﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ مسلمون لله بالتوحيد، فالإسلام يُراد به التوحيد، وهو دين جميع الرسل، وكلُّ الرسل جاؤوا بالتوحيد، وهو إسلام الوجه لله عَزَّجَلَّ، والإخلاص، والابتعاد عن الشرك.

﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ هذا حثٌّ على الثبات على هذا الدين، وعدم الالتفات إلى ما خالفه. وفيه أن العبرة بالخواتيم، وأن الإنسان بحسب ما يُحْتَمُّ له من خيرٍ أو شرٍّ، وفي الحديث الصحيح: «إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا. وَإِنْ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا»^(١).

العبرة بالخاتمة التي يموت الإنسان عليها، ولكن على الإنسان أن يعمل أعمالاً تكون سبباً لحسن الخاتمة، ويتعدّد عن الأعمال التي تكون سبباً لسوء الخاتمة، والأعمال كثيرة، والإنسان ما دام على قيد الحياة فهو معرّض للانحراف والفتنة، وقد ينحرف ويموت على غير الإسلام.

فهذا الحديث فيه الحثُّ على دين الإسلام، والثباتِ عليه، وسؤال الله عزَّجَلَ حُسْنَ الختام.



وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣].

شرح

ذكر الله جَلَّوَعَلَا: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٢٠) شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ أَجَبْتُهُ وَهَدَنِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿[النحل: ١٢٠-١٢١].

قوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ يعني: قدوة ﴿قَانِتًا لِلَّهِ﴾ القنوت المراد به: المداومة على طاعة الله؛ أي: مداومة على طاعة الله ﴿حَنِيفًا﴾ يعني: مُقْبِلًا على الله في عبادته، مُعْرِضًا عن عبادة ما سواه ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ كان بريئًا من المشركين؛ أي: تبرأ منهم، كما تبرأ من أبيه وقومه ﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ﴾ شَاكِرًا لِأَنْعَمِ رَبِّهِ عَزَّوَجَلَّ؛ لأن الله ذكر في هذه السورة (سورة النحل) النعمَ وعدَّدها؛ ولذلك تُسَمَّى سورة النحل بسورة النعم^(١)؛ لأن الله عدَّد فيها النعم؛ لِيَشْكُرَهَا الْعِبَادُ، وذكر عن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ كَانَ شَاكِرًا لِأَنْعَمِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَشُكْرُ النعمة هو: التحدُّث بها ظاهرًا، والاعتراف بها باطنًا، وصرْفُها في طاعة مُسَدِّدِهَا وَمُؤَلِّئِهَا.

(١) قال الماوردي: (قال الكلبي: هذه السورة تُسمى سورة النعم؛ لما ذَكَرَ الله فيها من كثرة نِعَمِهِ على خلقه). تفسير الماوردي (٣/ ٢٠٧). وانظر أيضًا: تفسير ابن عطية (٣/ ٣٧٧)، وزاد المسير (٢/ ٥٤٨)، والقرطبي (١٠/ ٦٥).

﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ هذا خطابٌ لنبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ أَنْ أَتْبَعَ
 مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ لَمَّا وَصَفَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ بهذه الصفات العظيمة التي
 ذُكِرَتْ، أَمَرَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ يَتَّبِعَ مِلَّتَهُ، أَي: دِينَهُ، وَدِينَ مُحَمَّدٍ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ دِينُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ دِينُ الْحَنِيفِيَّةِ السَّمُوحَةِ، دِينُ
 التَّوْحِيدِ وَالْعِبَادَةِ وَالْإِخْلَاصِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.



وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ بِكُلِّ نَبِيٍّ وُلَاةً مِنَ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ وَلِيِّي مِنْهُمْ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَخَلِيلُ رَبِّي»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨]. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ^(١).

الشرح

الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- يتولَّى بعضهم بعضًا؛ بالمحبة والافتداء والاتباع، فهم سلسلة واحدة من أولهم إلى آخرهم، يُبَشِّرُ أولُّهم بآخرهم، ويَقْتَدِي آخرهم بأولهم، وَيَتَّبِعُ بعضهم بعضًا، هكذا هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ونبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو أولى الناس بإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام، وهذا رَدٌّ عَلَى اليهود والنصارى، فاليهود يقولون: كان إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام يهوديًا، والنصارى يقولون: كان إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام نصرانيًا! واللَّهُ رَدٌّ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٧) إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ﴿وَأَنْتُمْ أَيُّهَا النَّصَارَى لَمْ تَتَّبِعُوهُ، فَأَنْتُمْ بَعِيدُونَ عَنْهُ؛ فَالنَّصَارَى يَعْبُدُونَ الصَّلِيبَ، وَالْيَهُودُ يَعْبُدُونَ

(١) أخرجه الترمذي (٢٩٩٥)، والبزار (٣٤٥/٥)، والحاكم في المستدرک (٣٢٠ / ٢) من حديث مسروق عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأخرجه الإمام أحمد في المسند مرسلاً (٣٤٨/٦)، وليس فيه مسروق.

وقد اختلف في وصله وإرساله، ورجَّح أبو حاتم وأبو زُرْعَةَ الرَّازِيَان إرساله. انظر: العلل (٦٣/٢). وقال الترمذي بعد روايته له مرسلاً -أي بإسقاط مسروق-: (هذا أصحُّ من حديث أبي الضحى عن مسروق) اهـ.

عُزَيْرًا، ويقولون: ﴿عُزَيْرُ ابْنِ اللَّهِ﴾، ويعبدون العجل كما ذكر الله تعالى عنهم، ويعبدون شهواتهم، هكذا هو دين اليهود، فإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بريءٌ منهم، بريء من اليهود والنصارى، وهم لم يَتَّبِعُوا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فهم بعيدون عنه، إنما أقرب الناس إلى إبراهيم ﴿لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ من اليهود والنصارى، لا الذين خالفوه ﴿وَهَذَا النِّتْيُ﴾ وهو محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فالله وليُّهم؛ يَنْصُرُهُمْ وَيُؤَيِّدُهُمْ وَيَجْهَدُ عَنْهُمْ، فهو وليُّ المؤمنين خاصَّةً؛ ولاية نصر وتأييد وحفظ وإعانة، وهناك ولاية عامَّة لجميع الخلق؛ قال تعالى: ﴿وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾ [يونس: ٣٠] يعني: ربهم ومالكهم والمتصرف فيهم، هذه ولاية عامَّة لجميع الخلق، بمعنى الملك والتدبير والرزق، أما الولاية الخاصة فهي للمؤمنين الذين اتَّبَعُوا إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وأولاهم بذلك هذا النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأُمَّتُهُ.

فهذا فيه ردُّ على اليهود والنصارى الذي يزعمون أنهم على دين إبراهيم، وهم كَذِبَةٌ، ليسوا على دين إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وإنما هم على الشرك، ودين الانحراف والتغيير والتبديل.

وهذا فيه دليل على أنه لا يكون وليًّا للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا مَنْ اتَّبَعَهُ، ليس هناك وليُّ للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلا مَنْ اتَّبَعَهُمَا، والذين يزعمون أنهم يحبون محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهم يخالفونه، ويُحَدِّثُونَ البدعَ والمُحَدَّثَاتِ، يزعمون أنهم يحبون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا كَذِبٌ، لو كانوا يحبون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَاتَّبَعُوهُ وتركوا البدعَ والمُحَدَّثَاتِ والخرافات التي ما أنزل الله بها من سلطان، فالذي يحب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حقيقة هو

الذي يتبعه، وهم الذين ﴿ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي
 أُنْزِلَ مَعَهُ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

العبرة بالاتباع وليست بالدعوى، والدعوى إذا لم يكن عليها دليل فهي
 باطلة.



وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلَا إِلَى أَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»^(١).

الشرح

هذا فيه أن العبرة ليست بالمظاهر وصور الأجسام وجمالها، ولا في كثرة الأموال والثروات والغنى، وإنما النظر إلى شيئين؛ هما: القلوب، والأعمال، فإذا كانت القلوب صحيحة سليمة مخلصه لله عزَّ وجلَّ، وكانت الأعمال مستقيمة على شرع الله ودينه؛ فهذا الذي ينظر الله إليه ويتقبله ويثيب عليه، أما مجرد جمال الصورة وكثرة الثروة فهذا ليس له عند الله اعتبار؛ قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [سبأ: ٣٧] فهؤلاء هم الذين ينظر الله إليهم نظر اعتبار وقبول ورحمة.



(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولفظه: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلَا إِلَى صُورِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ...»، وفي لفظ له: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ».

وَلَهُمَا: عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَلَيَرْفَعَنَّ إِلَيَّ رِجَالٌ مِنْ أُمَّتِي، حَتَّى إِذَا أَهْوَيْتُمْ لِأَنَاوِلِهِمْ اخْتَلَجُوا دُونِي، فَأَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، أَصْحَابِي! فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَخَذْتُوا بَعْدَكَ»^(١).

الشرح

في هذا الحديث يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ» الفَرَطُ: هو الذي يسبق إلى الماء ليسقي قومه^(٢)، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم القيامة يكون على حوض، طوله مسافة شهر، وعرضه مسافة شهر^(٣)، ماؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل^(٤)، وآنيته عدد نجوم السماء^(٥)، من يشرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، تردُّ الأمّة يوم القيامة على حوض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم عطاش من شدة الحر وطول المقام، وهم بحاجة إلى الماء، فيسقيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيده

(١) أخرجه البخاري (٧٠٤٩)، ومسلم (٢٢٩٧) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولفظ مسلم: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَلَا تَارِعَنَّ أَقْوَامًا ثُمَّ لَا غَلْبَنَ عَلَيْهِمْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أَصْحَابِي أَصْحَابِي! فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَخَذْتُوا بَعْدَكَ».

(٢) انظر: العين (٧/٤١٩)، وتهذيب اللغة (١٣/٢٢٥)، والصحاح (٣/١١٤٨)، ومقاييس اللغة (٤/٤٩٠).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧) (٢٢٩٢) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمُسْكِ، وَكَيْزَانُهُ كُنُجُومُ السَّمَاءِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا».

(٤) أخرجه مسلم (٢٣٠٠).

(٥) أخرجه البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢).

إلا من كان قد غيّر دينه؛ فإنه يُصَرَّفُ عن الحوض، فيقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّ رَبٍّ، أَصْحَابِي! فَيَقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدَثُوا بِعَدِّكَ» يعني: ما غيروا.

فهذا فيه دليلٌ على أن من ابتدَعَ في دين الله وغيره، فإنه لا يَرِدُ الحوض على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يَرِدُهُ إلا أهل التوحيد والاتباع؛ أهل التوحيد لله عَزَّجَلَّ، والاتباع للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذين لم يُبَدِّلُوا ولم يُغَيِّرُوا، بل كانوا كما تركهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على البيضاء، ليلها كنهارها، هؤلاء هم الذين يَرِدُونَ الحوض، ويشربون منه، يسقيهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منه.

وأما من غيّر وبدّل فإنه وإن انتسب إلى الإسلام، وإلى اتباع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه في هذا الموقف يُصَرَّفُ عن الحوض، فهذا فيه التحذير من البدع والانحراف والتغيير في دين الله والضلال، وفيه الحثُّ على التمسك بالدين الصحيح، والثبات عليه، والصبر عليه إلى الموت؛ حتى يَرِدَ على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحتى يشرب من حوضه.

والاختلاج: الأخذ بسرعة والمنع والطرْد؛ يُطْرَدُونَ عن الوُرود^(١).

(١) تواترت الأحاديث في وصف حوض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفيمن يَرِدُهُ من أمته ومن يُذاد عنه، رُويت عن أكثر من خمسين صحابياً، انظر مجموع طرقها ومن رواها من الصحابة في فتح الباري (١١/٤٦٩)، وعمدة القاري (٢٣/١٣٦). قال الحافظ ابن حجر: (وَلِكَثِيرٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الصَّحَابَةِ فِي ذَلِكَ زِيَادَةٌ عَلَى الْحَدِيثِ الْوَاحِدِ، كَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَنَسٍ، وَأَبْنِ عَبَّاسٍ، وَأَبِي سَعِيدٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو، وَأَحَادِيثُهُمْ بَعْضُهَا فِي مُطْلَقِ ذِكْرِ الْحَوْضِ، وَفِي صِفَتِهِ بَعْضُهَا، وَفِيمَنْ يَرِدُ عَلَيْهِ بَعْضُهَا، وَفِيمَنْ يُدْفَعُ عَنْهُ بَعْضُهَا، وَكَذَلِكَ فِي الْأَحَادِيثِ الَّتِي أَوْرَدَهَا الْمُصَنِّفُ فِي هَذَا الْبَابِ، وَجُمْلَةُ طُرُقِهَا تِسْعَةٌ عَشَرَ طَرِيقًا، وَبَلَّغْنِي أَنَّ بَعْضَ الْمُتَأَخِّرِينَ وَصَلَهَا إِلَى رِوَايَةِ ثَمَانِينَ صَحَابِيًّا) اهـ.

وَلَهُمَا: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَدِدْتُ أَنَا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا». قَالُوا: أَوْلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ». فَقَالُوا: فَكَيْفَ نَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ؟ قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ نُوَآنَ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ، بَيْنَ ظَهْرَانِي خَيْلٍ ذُهُمٍ بِهِمْ، أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ، أَلَا لِيُذَادَنَّ رَجُلًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ حَوْضِي، كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ، أُنَادِيهِمْ: أَلَا هَلُمَّ، فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا» (١).

الشرح

هذا مثل الحديث الذي قبله في أن أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هم الذين لم يبدلوا ولم يغيروا، يأتون ولهم سماتٌ وعلامات بارزة، يعرفهم بها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بين الخلائق، وهي آثار الوضوء، وهذا من فضل الوضوء للصلاة، وفضل الطهارة، وأن آثاره تبقى نورًا يتلأأ يوم القيامة على أطراف المسلمين، يعرفهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بين الخلق، فهذا فيه فضل الوضوء. وفيه علامة هذه الأمة يوم القيامة من بين الأمم.

وفيه أن أناسًا يُذادون عن الحوض، يأتون مع الوراد إلى الحوض بصفة أنهم يدعون الإسلام، لكنهم يُمنعون ويُذادون كما يُذاد البعير الضالُّ،

(١) أخرجه مسلم (٢٤٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يُمنعون من الوصول إلى الحوض، فيسأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لماذا؟» فيقال: «إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ. فيقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سُحْقًا سُحْقًا» لمن بدّل وغير، أو كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هذا مثل الحديث الأول، إلا أن فيه زيادة: «فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ». فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعرف أُمَّتَهُ بِسِمَا الْعُرَّةِ وَالتَّحْجِيلِ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ.

وأوّل الحديث فيه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «وَدَدْتُ أَنَا قَدْ رَأَيْتَا إِخْوَانَنَا»، يتمنى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يرى إخوانه من المؤمنين الذين يأتون من بعده، قال الصحابة -رضوان الله عليهم-: «أَوْكُسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ» هذه خاصة في الذين صحبوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذين لقوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآمنوا به، هؤلاء يقال لهم: الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولهم فضل عظيم، وهم خير القرون، والإخوان هم الذين يأتون في آخر الزمان، ويتبعون هذا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع ما بينهما من طول الزمان، فهذا فيه الفضل العظيم في آخر هذه الأمة التي تتمسك بدين الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي لم تره، الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ رأوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجالسوه وجاهدوا معه، لكن يأتي أناس لم يَرَوْا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولكنهم يؤمنون به، وهم لم يروه، يؤمنون به بموجب كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُصَدِّقُونَ به، وهذه فضيلة عظيمة، فالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لهم فضل الصحبة، وهؤلاء لهم فضل التمسك والاتباع وهم لم يَرَوْا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فكلُّ له فضيلة خاصة به.

وَلِلْبُخَارِيِّ: «بَيْنَمَا أَنَا قَائِمٌ إِذَا زُمْرَةٌ، حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ، فَقَالَ: هَلُمَّ، فَقُلْتُ: أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى النَّارِ وَاللَّهِ، قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى. ثُمَّ إِذَا زُمْرَةٌ...» فَذَكَرَ مِثْلَهُ، قَالَ: «فَلَا أُرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلُ هَمَلٍ نَعَمْ»^(١).

الشرح

هذا مثل الحديث السابق: أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكون في خلق كثير يوم القيامة، ثم ينادون إلى النار من عند الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيسأل الرسول: لماذا؟ قالوا: إنهم لا يزالون مرتدين من بعدك!

هذا فيه أن من ارتكب ناقضاً من نواقض الإسلام فإنه سيلقى هذا المصير، إلا إذا تاب إلى الله قبل الموت؛ فهذا مما يؤكد على الإنسان أن يعرف نواقض الإسلام ويتجنبها؛ لئلا يكون مع هؤلاء الناس يوم القيامة وهو يزعم أنه مسلم.

قد يعيش الإنسان مرتدًا ويزعم أنه مسلم، لماذا؟

لأنه يعيش على ناقضٍ من نواقض الإسلام، ونواقض الإسلام كثيرة، وأسباب الردة كثيرة، يجب العناية بمعرفتها، وسؤال الله الثبات على الدين، فلا يكفي مجرد الانتساب أو أن يكون الإنسان إمعة مع الناس أساءوا أو أحسنوا، بل لا بد أن يعرف الحق لأجل أن يعمل به، ويسأل الله الثبات.

(١) أخرجه البخاري (٦٥٨٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فهذا فيه أن من ارتد عن دين الإسلام فإنه يكون من أهل النار، ولو كان في أول أمره من هذه الأمة؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧]؛ لذلك يجب علينا أن نعرف ما هي أنواع الردّة، وما هي نواقض الإسلام؛ حتى نتجنبها، وأكثر الناس همّلاً لا يدرون ولا يعرفون نواقض الإسلام، ويقعون فيها وهم لا يدرون؛ بسبب الجهل الذي لا يُعذرون به؛ لأنه لا يُعذر في الجهل من كان يعيش بين العلماء وفي بلاد الإسلام؛ لأنه بإمكانه أن يسأل وأن يتعلم ويحرص على التعلم، أما الذي لا يبالي فإنه لا يهتم بالعلم ولا بالتعلم، ويكتفي بمسمى الإسلام فقط، ويجاري الناس على ما هم عليه، ثم يوم القيامة يصبح مع الخاسرين!

فهذا فيه الحثُّ على معرفة نواقض الإسلام حتى يتجنبها المسلم؛ لئلا يكون مع هؤلاء يوم القيامة.



وَلَهُمَا فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧]»^(١).

الشرح

يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند ذلك، أي: عند هذا المشهد الهائل حينما يُذادون إلى النار من عند الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول كما قال العبد الصالح - وهو عيسى ابن مريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - يوم القيامة إذا قال الله له: ﴿يَحْيَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦]، وهذا فيه فضحٌ للنصارى الذين يقولون: إن المسيح ابن الله، أو ثالث ثلاثة، أو يقولون: إن المسيح هو الله، أو إن الله هو المسيح ابن مريم! يقول الله له يوم القيامة: ﴿ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَنَكَ﴾ هذا تنزيهٌ لله عَزَّجَلَّ من القول ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾؛ لأن العبادة حقٌّ لله، ليست حقًّا للمسيح ولا لأُمِّه ولا لغيرهما من المخلوقين، العبادة حق لله جَلَّ وَعَلَا.

﴿قَالَ سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾؛ لأن هذا حقٌّ الله جَلَّ وَعَلَا، الألوهية والعبادة حقٌّ لله.

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٩، ٣٤٤٧، ٤٦٢٥)، ومسلم (٢٨٦٠).

﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ، تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾
 إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمْتَ الْغُيُوبَ ﴿[المائدة: ١١٦]﴾ هذا برهان آخر على أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يقل
 هذه المقالة: أنه لو قال هذا لعَلِمَهُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا؛ لأن الله يعلم كل شيء، فهذا
 دليل على أنه لم يقل هذا لهم؛ لأنه لو قاله لعَلِمَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ هذا فيه أن الرسول مبلغ عن الله، لا
 يأتي بشيء من عنده، وإنما هو مبلغ عن الله ﴿إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ
 رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴿فصار المسيح عبداً، وليس رباً كما تقوله النصرى.

﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ في حياته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كان
 يدعوهم إلى التوحيد، وينهاهم عن الشرك، لم يأمرهم بالشرك أبداً؛ ﴿مَا
 كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ
 كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ لا أحد يقول هذا من الأنبياء ﴿وَلَكِنْ كُونُوا
 رَبَّنَا نَعْنِ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ﴾ هذا الذي يقوله النبي: ﴿كُونُوا رَبَّنَا نَعْنِ
 بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا
 الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾ من دون الله، ليس هناك نبي يأمر بهذا أبداً ﴿أَيَأْمُرُكُمْ
 بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩-٨٠].

فالنبي لا يأمر بالكفر أبداً، ولا يتصور هذا: أن النبي يدعو إلى الشرك
 وإلى الكفر!

﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾
 [المائدة: ١١٧] فالمسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ تُوَفِّيَ حين رُفِعَ، والوفاة هنا هي القبض، فقبض

وهو حيٌّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لم تفارق رُوحُه جسده، وإنما قُبِضَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
 بِرُوحِه وجسده ورُفِعَ إلى السماء: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]،
 ثم في آخر الزمان يُتَوَفَّى الوفاة الكبرى، وهي مفارقة الروح للجسد: ﴿وَإِنْ
 مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ [النساء: ١٥٩] هذا في آخر الزمان،
 يموت عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ويُدفن كما دُفِنَ الأنبياء - في القبر - في آخر الزمان.



وَلَهُمَا عَنْهُ مَرْفُوعًا: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بِبَهِيمَةٍ جَمْعَاءَ، هَلْ تُحْسِنُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ حَتَّى تَكُونُوا أَنْتُمْ تَجْدَعُونَهَا؟». ثُمَّ قَرَأَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ أَلَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ^(١).

الشرح

هذا الحديث يفسر الآية السابقة التي في أول الباب، في أن الله فطر الناس على الإسلام، أي: فطرهم على التوحيد، فلو أنهم سَلِمُوا من دعاة الضلال لبقيت فطرتهم قابلةً للحق، ولَاتَّبَعُوا الرسل، فالفطرة وحدها لا تكفي، لا بد من اتِّباع الرسل -عليهم الصلاة والسلام-، ففطرتهم صالحة مثل التربة الطيبة الصالحة للنبات، فالتربة إذا بقيت ولم تَلَوُثْ، تبقى صالحة، وإذا غُيِّرَتْ وَسَبِخَتْ وَعَلَتْهَا الملوحةُ والماء؛ فسدت وصارت غيرَ صالحة للإنبات، كذلك الإنسان إذا غُيِّرَتْ فطرته فإنها لا تقبل الخير؛ لأنها انحرفت وتغيَّرت، كالتربة إذا فسدت.

وَضَرَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَذَلِكَ مَثَلًا بِالشاةِ الجَدْعاءِ التي قُطِعَتْ أُذُنُهَا، وَكُسِرَ قَرْنُهَا، تَوَلَّدَ جَمْعَاءَ، أَي: سَلِيمَةً لَيْسَتْ بِمَجْدُوعَةٍ، كَامِلَةُ الْقَرْنَيْنِ وَالْأُذْنَيْنِ، ثُمَّ إِنْ أَهْلَهَا هُمُ الَّذِي يَجْدَعُونَهَا، وَكَذَلِكَ الْمَوْلُودُ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ كَامِلًا، فَإِنْ غُيِّرَتِ الْفِطْرَةُ فَهَذَا مِنْ تَصَرُّفِ الْمُرَبِّينَ الَّذِينَ يَحْرِفُونَ الْفِطْرَةَ وَيَغَيِّرُونَهَا، مِثْلَ الَّذِينَ يَفْسِدُونَ التُّرْبَةَ الصَّالِحَةَ لِلْبَذْرِ فَلَا تُنْبِتُ.

(١) أخرجه البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْخَيْرِ، وَأَنَا أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ؛ خَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ». قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ وَفِيهِ دَخَنٌ». قُلْتُ: وَمَا دَخْنُهُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَسْتَنْتُونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي، وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ». قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ؛ فِتْنَةُ عَمِيَاءَ، وَدُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ: «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا تَأْمُرُنِي أَنْ أَدْرِكْتُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ». قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ انْفِرَقَ كُلُّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعْصَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ». أَخْرَجَاهُ^(١).

الشرح

هذا لا شك أنه مطلوب: أن تسأل عن الخير، وأن تتعلم ما فيه الخير والصلاح، لكن لا تقتصر عليه، بل عليك أن تعرف ضده، عليك أن تعرف الشر وهو ضد الخير؛ لئلا تقع فيه، فيجب عليك أن تتعلم الأمرين: الخير والأعمال الصالحة وكل ما يؤدي إلى الخير من الأعمال والأقوال والعقائد وغير ذلك، ولا بد أن تعرف ما يُضادُّ ذلك وما يخالفه؛ حتى يسلم لك هذا

(١) أخرجه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧) من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الخير؛ لأنك إذا اقتصرت على تعلم الخير ولم تتعلم ما يخالفه ويضاده فربما أنك تقع في أشياء تذهب بهذا الخير وأنت لا تدري، فمثلاً إذا تعلمت التوحيد، وإفراد الله بالعبادة، فلا بد أن تتعلم ما هو الشرك الذي هو ضد التوحيد، وهو عبادة غير الله، وكيف تكون عبادة غير الله؛ لأن الإنسان قد يعبد الله ويكثر من العبادة، ولكن لا يتجنب الشرك، خصوصاً وأن كثيراً من الناس يقعون في الشرك، وهناك دعاة إلى الشرك، فربما أنه يقع في شيء من الشرك يظنه خيراً؛ لأنه لبس عليه، فهذا الشرك يُبطل عمله وهو لا يدري؛ فلا بد أن تتعلم الخير وإلى جانبه تتعلم ما يضاده ويخالفه.

وهذا بخلاف ما ينادي به اليوم الكثير من الجهّال والمضللين والمغرضين، الذين يقولون: (علّموا الناس التوحيد، وعلّموهم الصلاة وأفعال الخير، لكن لماذا تعلّمونهم نواقض الإسلام والشرك، وتعلّمونهم عقائد الجهميّة والمعتزلة ومن نحا نحوهم؟ لماذا لا تقتصرون على العقائد الصحيحة وتتركون بيان العقائد الفاسدة؟!). وهذا جهل أو تضليل؛ لأنه لا يكفي تعلّم العقائد الصحيحة، بل لا بد أن نعرف أيضاً العقائد الفاسدة والباطلة؛ من أجل أن نتجنّبها ونُجنّبها أولادنا وإخواننا؛ ولذلك ردّ العلماء على الجهمية والمعتزلة والمخالفين، وهذا شيء موجود، فلو أنهم سكتوا عن أهل الضلال ولم يردّوا عليهم، لراجت أفكارهم وشبهاتهم.

لم يقلّ العلماء: تقتصر على معرفة الخير فقط، بل وعرفوا الناس الشر؛ من أجل أن يجتنبوه، وتجدر الآن في كتب العقائد - خصوصاً الموسعة - بيان العقيدة الصحيحة، وبيان ما يضادّها، وإيراد الشبهات التي يدلي بها أهل

الشر؛ من أجل الرد عليها، لئلا يغترَّ بها من لا يعرفها وإن كان من أهل الخير؛ لأن الذي يجهل الشيء يوشك أن يقع فيه؛ ولهذا يقول الشاعر^(١):

عَرَفْتُ الشَّرَّ لَا لِشَرِّ لَكِنْ لِتَوَقُّيهِ

وَمَنْ لَا يَعْرِفُ الشَّرَّ مِنَ الْخَيْرِ يَقَعُ فِيهِ

فلا بد من هذا الأمر، وهذا حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وهو صحابيٌّ جليل - كان يسأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الشر، ولم ينهه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لم يَقُلْ له: (اجتنب هذا، ولا تسأل عنه)، بل أقره الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبين له عما سألته من الفتن، بين له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الفتن، وأن الدنيا دُولٌ: تارة يأتي خيرٌ، وتارة يأتي شرٌّ، ويتعاقب هذا وهذا على الناس للابتلاء والامتحان.

فلا بد أن يكون المسلمون على استعداد لمقاومة الشر؛ لئلا يروج الشرُّ عليهم؛ لأن الشر له دعاةٌ حريصون على رواجه، ويُزيّنونه بزُخرف القول، وبالعبارات الرنانة، ويسمونها بأسماء مغرية، فلو لم تعرفوا هذه الشبهات، وهذه الدعوات الضالّة؛ لأوشك أن يروج هذا عليكم فتقبّلوه، فهذه هي الحكمة من أننا نتعلم الخير ونتعلم الشر، يعني: نتعلم ما يُضادُّ الخير ويخالفه؛ حتى نُسَلِّمَ منه.

وهذا حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يسأل في هذا الحديث الصحيح عن الشر، وأقره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يَقُلْ له: لماذا تسأل عن الشر؟. فالإنسان على خطر، لا يزكي نفسه، ولا يقول: أنا عرفت الخير وكفني، بل لا بد أن يعرف هذه الأمور لخطرها، ولتكرّرها على الناس، والدعوة إلى الانحراف والضلال

(١) البيت لأبي فراس الحمداني. انظر: يتيمة الدهر (١/ ٨٤).

مستمرة لا تنقطع، الآن هناك من يدعو إلى مذهب الجهمية، وإلى مذهب المعتزلة، وإلى القبورية، وإلى الصوفية، وإلى غير ذلك من الدعوة إلى الانحراف، فلو لم نتعلم الرد على هؤلاء ونعرف شبهاتهم لراجت هذه الأمور، ولذهبت السُّنة؛ فلا بد من المقاومة، ولا بد من معرفة المرض، ومعرفة علاجه.

فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بما يكون، وهذا من علامات النبوة؛ حيث إنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخبر عن الشيء قبل وقوعه؛ لأن الله أطلع رسوله على ما يكون في المستقبل، من أجل أن ينبّه الناس ويحذّرهم من هذه الأمور إذا حدثت، وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسِيرِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»^(١)، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا»^(٢).

كُلُّ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَكُونَ النَّاسُ عَلَى مَعْرِفَةٍ وَبَصِيرَةٍ إِذَا حَدَّثَتْ هَذِهِ الْأُمُورُ، فَيَكُونُ عِنْدَهُمْ اسْتِعْدَادٌ لِمَقَاوِمَتِهَا وَالتَّحْذِيرُ مِنْهَا، وَأَلَّا يَغْتَرُوا بِهَا، فَحَذِيفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي النِّهَايَةِ سَأَلَ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَدْرَكَهُ هَذَا، مَاذَا يَفْعَلُ؟ قَالَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَلَزِمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ» هَذِهِ هِيَ الْعَصْمَةُ

(١) سبق تخريجه (ص ٨٣).

(٢) سبق تخريجه (ص ٩٩).

من الفتن؛ أي: أن تكون مع الجماعة، والنبى ﷺ يوصي بالتزام جماعة المسلمين ويقول: «يَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَمَنْ شَذَّ شَذَّ إِلَى النَّارِ»^(١)، ويقول ﷺ: «مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ، فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ»^(٢)، والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ، لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَي: كِتَابُ اللَّهِ، وَسُنَّتِي»^(٣)، وسيأتي في الأحاديث حالة الغرباء في آخر الزمان، وما لهم من الأجر؛ فملازمة جماعة المسلمين فيها العصمة، وأما من شذَّ عن جماعة المسلمين فهو على خطأ، وعلى شفير الهلاك، عليك أن تلزم جماعة المسلمين وإمام المسلمين؛ يعني: بالسمع والطاعة لوليِّ أمر المسلمين، والجماعة لا تكون إلا بإمام، لا بد من الإمام، ولا تكون جماعة بدون إمام يقودهم ويحميهم ويدير شؤونهم؛ فلا بد من إمام يرجعون إليه.

عليك أن تلزم جماعة المسلمين وإمام المسلمين، هذا فيه نجاة من الفتن، وهذا إذا تأملتَه وجدته مطابقاً لزماننا هذا، والله أعلم بما يأتي بعده. الآن الفتنُ كثيرةٌ وشديدة، والدعايات المضلَّةُ كثيرة، ووسائل نشر الشر توفَّرت

(١) أخرجه الترمذي (٢١٦٧)، وابن أبي عاصم في السنة (ص ٣٩)، والحاكم (١/ ١٩٩)، وأبو نُعَيْم في الحلية (٣/ ٣٧)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٣٣) عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي - أَوْ قَالَ: أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ - عَلَى ضَلَالَةٍ، وَيَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَمَنْ شَذَّ شَذَّ إِلَى النَّارِ».

(٢) سبق تخريجه (ص ٥٦).

(٣) أخرجه الدارقطني (٥/ ٤٤٠)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ١٩٥)، والحاكم (١/ ١٧٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَنَشِطَتْ، وصار الشر يروجُ ويُدعى إليه، ودعاة الضلال على قدم وساق؛ في الفضائيات، وعلى الإنترنت، وفي الكتب يروجون الشر والضلال، ويحرّضون على الفرقة والاختلاف، ويدعون إلى حرية الرأي وحرية الكلمة وما أشبه ذلك؛ يريدون أن يفككوا أوصال المسلمين، فإذا لم يكن عندك خبرة في هذا الأمر وقعت في الهلاك إلا من رحمه الله، فعليك أن تلزم جماعة المسلمين. والحمد لله أنت في هذه البلاد السعودية في دولة مسلمة، ومع جماعة من المسلمين لهم إمام، هذا من نعم الله سبحانه وتعالى، فنحن في نعمة عظيمة، لكن لا تنسوا أن الأعداء يحفرون لهذه الدولة، ولهذه الجماعة، يريدون أن يزيلوها من الوجود حتى تكون مثل البلاد الأخرى، فلا يبقى أمامهم شيء يمنعهم، فلنكن على حذر من هذا، ألم يُجندوا من أبنائنا من يفجرون، من ينتحرون؟ فما الغرض من هذا؟ الغرض من هذا إشعال نار الفتنة، وتفريق هذه الجماعة، وإزالة هذه النعمة، هذا هو الغرض الذي يريدونه، يُسمّون هذا بالجهاد، يسمونه استشهاداً في سبيل الله! هذا من زخرف القول والترويح للباطل، فهذه أمور علّمنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحذّرنا منها قبل وقوعها، كلما حدث شيء من هذا يكون عندنا منه خبرٌ ومعرفة، وكيف نقاومه وكيف نسلّم من شره.

فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرشد إلى أن السلامة من الفتن إذا حدثت تكون بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُولِهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، وما دام المسلمون على طريقة صحيحة وعلى سبيل

الهدى، فكن معهم، فإذا خرجتَ عن ذلك فأنت متوعدٌ بأن يُضْلِكَ اللهَ جهنَّمَ وساءت مصيرًا.

قال حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ، مَاذَا أَفْعَلُ؟ إِلَى أَيْنَ أَلْجَأُ؟ أَيْنَ أَذْهَبُ؟ قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا»، لَا تَدْخُلْ مَعَ هَذِهِ الْفِرْقِ وَمَعَ هَذِهِ الْجَمَاعَاتِ الضَّالَّةِ، لَا تَنْخَدِعْ بِهَا، ابْقَ وَحْدَكَ، وَتَمَسَّكَ بِكِتَابِ رَبِّكَ وَسُنَّةِ نَبِيِّكَ وَلَوْ أَنَّكَ وَحْدَكَ، اعْتَزَلْ تِلْكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا «وَلَوْ أَنَّ تَعْصَى بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ».

الحاصل أن هذا فيه التحذير من اتِّبَاعِ الْفِرْقِ الضَّالَّةِ الْمُنْحَرِفَةِ، فَإِنْ وَجَدْتَ جَمَاعَةً لِلْمُسْلِمِينَ وَإِمَامًا لَهُمْ فَكُنْ مَعَهُمْ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَعَلَيْكَ أَنْ تَعْتَزَلَ هَذِهِ الْفِرْقَ كُلَّهَا.

وَذَكَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا ذَكَرَ أَنَّهَا تَكُونُ فِتْنَةً عَمِيَاءُ، شَدِيدَةٌ - وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ - مُظْلِمَةٌ، وَدَعَا عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَطَاعَهُمْ قَذَفُوهُ فِيهَا، لَا يَقُولُونَ لَهُمْ: تَعَالَوْا إِلَى جَهَنَّمَ، تَعَالَوْا إِلَى النَّارِ، يَقُولُونَ: تَعَالَوْا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِلَى الْخَيْرِ، نَحْنُ مُجَاهِدُونَ، نَحْنُ نَدْعُو إِلَى اللَّهِ! لَكِنَّهُمْ فِي الْوَاقِعِ: «دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا».

قال حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا. فَقَالَ: هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِاللُّسْتِنَا»، لَا يَأْتُونَ مِنَ الْخَارِجِ، أَوْ مِنَ الدُّوَلِ الْأَجْنِبِيَّةِ، هُمْ مِنْ أِبْنَانَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِاللُّسْتِنَا، أَيُّ: بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ؛ لِأَنَّهُمْ مِنَّا، وَهَذَا أَشَدُّ، لَوْ كَانَ الدَّاعِيَةُ إِلَى الضَّلَالِ قَادِمًا مِنَ الْخَارِجِ أَوْ مِنْ دَوْلٍ كَافِرَةٍ، عَرَفَهُ النَّاسُ،

ولم يثقوا به، ولكن المشكلة إذا كان من أبناء المسلمين، ويتكلم باللغة الفصحى لغة العرب، فعند ذلك تعظم المصيبة.

هذا تفصيل من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واضح، وفيه تحذير من هذه الفتن، وهذه الشرور، وأن تلزم ما عليه جماعة المسلمين وإمامهم، ولا تلتفت إلى هذه الفتن ودعاتها، ولكن احذر منها، فإذا كان هناك جماعات متعددة، وهنا جماعة على الحق، فكن مع الجماعة التي على الحق؛ ولهذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً». قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»^(١).

هذه الفرقة الناجية، واثنان وسبعون فرقة كلها في النار، وواحدة هي الناجية، وهي الثالثة والسبعون، واحدة فقط، وهذه الواحدة هي ما كان عليه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، هي الناجية، فإذا كنت تريد النجاة فابق مع هذه الفرقة، ولا تغتر ببقية الفرق.



وَزَادَ مُسْلِمٌ: «ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ يَخْرُجُ الدَّجَالُ، مَعَهُ نَهْرٌ وَنَارٌ، فَمَنْ وَقَعَ فِي نَارِهِ وَجَبَ أَجْرُهُ وَحُطَّ وَزُرُّهُ، وَمَنْ وَقَعَ فِي نَهْرِهِ وَجَبَ وَزُرُّهُ وَحُطَّ أَجْرُهُ. قُلْتُ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ هِيَ قِيَامُ السَّاعَةِ»^(١).

الشرح

من الفتن الشديدة: ظهورُ المسيح الدجال في آخر الزمان، وخروجه من علامات الساعة الكبرى، وسُمِّيَ بالدجال؛ من الدجل، وهو الكذب^(٢)؛ لكثرة كذبه، وهذا الرجل يظهر في اليهود، وهو المهديُّ الذي ينتظره اليهود، يخرج فيهم^(٣)، ومعه فتنةٌ عظيمة؛ معه صورة جنة وصورة نار، فالنار التي معه هي الجنة، والجنة التي معه هي النار، هذا دليل على أن الإنسان يجب عليه ألاَّ يغترَّ بالزخرف، فهذا الدجال يصوِّر أن ما معه جنة وهو في الحقيقة نار، ويصور ما معه بأنه نار وهو جنة.

فهذا فيه التحذير من السحرة المشعوذين الذين يُسَمُّون سحرهم: السيرك أو الفن، وهو السحر التخيلي المسمى (بالقمرة).

وفيه التحذير من الدعايات المضلَّة، وألَّا يَزْهَدَ الإنسان بالحق، ولو أن الحق لُبْسٌ عليه، ووُصِفَ بالتأخر والرجعية والجمود... وكذا وكذا، الحقُّ

(١) هذه الزيادة في (سنن أبي داود)، فلعل الأصل (زاد أبو داود). أخرجه أبو داود (٤٢٤٤)، وأحمد (٤٢٤/٣٨)، والبزار (٣٦١/٧)، والحاكم (٤٧٩/٤).

(٢) انظر مادة (دجل) في: العين (٨٠/٦)، وتهذيب اللغة (٣٤٤/١٠)، والصحاح (١٦٩٥/٤)، ومقاييس اللغة (٣٢٩/٢)، ولسان العرب (٢٣٦/١١).

(٣) أخرجه مسلم (١٢٤) (٢٩٤٤) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَتَّبِعُ الدَّجَالُ مَنْ يَهُودٍ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا، عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ».

هو الحق، والباطل هو الباطل ولو وُصِفَ بالتقدم والحضارة والرقى هو باطل، الدجال يأتي في آخر الزمان معه فتن عظيمة، ويغتر به كثير من الناس، وينخدعون بما معه من الفتن، ولا يَسْلَمُ من شره إلا القليل؛ ولهذا كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والأنبياء كلُّهم يحذرون من المسيح الدجال، وأشدُّهم تحذيرًا نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لقُرْبِ زمان خروجه^(١)؛ ولذلك أمرنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نستعيذ بالله من أربع في كل صلاة، في التشهد الأخير؛ بأن نقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا، وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ»^(٢).



(١) أخرجه أبو داود (٤٧٥٦)، والترمذي (٢٢٣٤)، وأحمد (٢٢٢ / ٣) عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ بَعْدَ نُوحٍ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَ الدَّجَالَ قَوْمَهُ، وَإِنِّي أَنْذِرُكُمْوهُ».

(٢) أخرجه مسلم (١٢٨) (٥٨٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأخرجه البخاري (٨٣٢)، ومسلم (١٢٩) (٥٨٩) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا، وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ. فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيدُ مِنَ الْمَغْرَمِ! فَقَالَ: إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَّبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ».

قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: (تَعَلَّمُوا الْإِسْلَامَ، فَإِذَا تَعَلَّمْتُمُوهُ فَلَا تَرْغَبُوا عَنْهُ، وَعَلَيْكُمْ بِالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ؛ فَإِنَّهُ الْإِسْلَامُ، وَلَا تَحَرِّفُوا عَنِ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا، وَعَلَيْكُمْ بِسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِيَّاكُمْ وَهَذِهِ الْأَهْوَاءُ). انتهى^(١).

الشرح

أبو العالية الرياحي، هو رُفَيْعُ بْنُ مِهْرَانَ الرِّياحي، من أئمة التابعين،
يوصي بوصايا عظيمة:

أَوَّلُهَا: (تَعَلَّمُوا الْإِسْلَامَ) أي: اعرِفُوا الْإِسْلَامَ ما هو، ولا يكفي أن تقول: (أنا مسلم) وأنت لا تعرف الإسلام، لا بد أن تعرف ما هو الإسلام، وما هي أركانه، وما هي نواقيض الإسلام؛ حتى تكون على بصيرة، أن تعرف معناه وتعريفه، وتعرف أركانه، وتعرف مكمّلاته ومناقضاته ومنقّصاته؛ حتى تكون على بصيرة، وهذا فيه الحثُّ على تعلم العلم النافع؛ لأنه هو الحياة، وهو النجاة بإذن الله. هذه واحدة.

الثانية: (فَإِذَا تَعَلَّمْتُمُوهُ) وعرفتموه، فعليكم بالتمسك به، لا يكفي أن يكون الإنسان عالماً، بل يجب عليه أن يعمل بعلمه، وإلا فالكثير من العلماء أهل ضلال، أي: ضلُّوا وهم عندهم علمٌ، فاليهود عندهم علمٌ وقد ضلُّوا وكفروا، فلا يكفي مجرد العلم، لا بد من التمسك بالحق، والثبات والصبر

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٣٦٧/١١)، والمروزي في السنة (ص ١٣)، واللاكثاني في اعتقاد أهل السنة (٥٦/١)، وأبو نعيم في الحلية (٢١٨/٢).

عليه مع العلم، فهو (علم وعمل). أوصى أولاً بالعلم ثم أوصى بالعمل والثبات عليه.

الثالثة: (وَعَلَيْكُمْ بِالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ) أن تلزم الصراط المستقيم؛ قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وقال تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]. فالصراط هو: الطريق^(١)، والمستقيم هو: المعتدل الذي ليس فيه ميلان ولا انحراف، هذا هو الصراط المستقيم، أمرنا الله بأن نتبعه، وأمرنا أن نسأله أن يهدينا هذا الصراط؛ أن يُعرِّفنا به، وأن يُثَبِّتَنَا عليه.

أما الوصية الرابعة: فهي أنك إذا وفقك الله لمعرفة الصراط المستقيم وسرت عليه، فلا تَنْسَ دعاء الضلال الذين يريدون أن يحرفوك عن الصراط المستقيم؛ ولهذا قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضرب لهذا مثلاً.



(١) انظر: تفسير الطبري (١/ ١٧٠)، وتهذيب اللغة (١٢/ ٢٣٢)، والصحاح (٢/ ٥٥٠)، ومقاييس اللغة (٦/ ١٠٥)، ولسان العرب (٣/ ٤٥٩).

تَأْمَلُ كَلَامَ أَبِي الْعَالِيَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ هَذَا، مَا أَجَلُهُ! وَاعْرِفْ زَمَانَهُ الَّذِي يُحَذِّرُ فِيهِ
 مِنَ الْأَهْوَاءِ الَّتِي مَنِ اتَّبَعَهَا فَقَدْ رَغِبَ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَتَفْسِيرِ الْإِسْلَامِ بِالسُّنَّةِ،
 وَخَوْفُهُ عَلَى أَعْلَامِ التَّابِعِينَ وَعُلَمَائِهِمْ مِنَ الْخُرُوجِ عَنِ السُّنَّةِ وَالْكِتَابِ؛ يَتَبَيَّنُ
 لَكَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
 [البقرة: ١٣١]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَبْنِي إِنَّ اللَّهَ
 أَصْطَفَى لَكُمْ الَّذِينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]، وَقَوْلِهِ
 تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ١٣٠]،
 وَأَشْبَاهَ هَذِهِ الْأُصُولِ الْكِبَارِ الَّتِي هِيَ أَصْلُ الْأُصُولِ، وَالنَّاسُ عَنْهَا فِي غَفْلَةٍ،
 وَبِمَعْرِفَتِهَا يَتَبَيَّنُ مَعْنَى الْأَحَادِيثِ فِي هَذَا الْبَابِ وَأَمْثَالِهَا، وَأَمَّا الْإِنْسَانُ الَّذِي
 يَفْرُؤُهَا وَأَشْبَاهَهَا وَهُوَ آمِنٌ مُطْمَئِنٌّ أَنَّهَا لَا تَنَالُهُ، وَيَظُنُّ أَنَّهَا فِي قَوْمٍ كَانُوا فَبَادُوا؛
 آمِنٌ مَكْرَ اللَّهِ ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩].

الشرح

يقول الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: تَأْمَلُ كَلَامَ أَبِي الْعَالِيَةِ هَذَا، وَمَا فِيهِ مِنَ الْفَوَائِدِ
 الْعَظِيمَةِ، وَزَمَانَ أَبِي الْعَالِيَةِ مَتَى؟ إِنَّهُ زَمَانُ التَّابِعِينَ، فَكَيْفَ بَزَمَانِنَا هَذَا؟!
 إِنَّهُ أَشَدُّ خَطَرًا.

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَتَفْسِيرِ الْإِسْلَامِ بِالسُّنَّةِ) أَي: السُّنَّةِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَحَوْفُهُ عَلَى أَعْلَامِ التَّابِعِينَ وَعُلَمَائِهِمْ مِنَ الْخُرُوجِ عَنِ السُّنَّةِ وَالْكِتَابِ) إذا كان قد خاف على أعلام التابعين، فكيف بنا نحن؟! الخوف علينا أشد.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (يَتَبَيَّنُ لَكَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمُ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١]) قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لِمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠-١٣١] إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمُ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ [البقرة: ١٣٠-١٣١]

استجاب لأمر الله عَزَّوَجَلَّ، وأسلم نيته وقصده وعمَلَه لله عَزَّوَجَلَّ، هذا هو الإسلام: الإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ، والانقياد لله عَزَّوَجَلَّ؛ ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، ونقله عنه الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ في (ثلاثة الأصول): الإسلام هو: الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله^(١).

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنَئُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الَّذِينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢])، وهذه وصية إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام، ووصية يعقوب عَلَيْهِ السَّلَام، كُلُّ منهما وصَّى ذريته بالتمسك بالإسلام، وأنتم من ذرية إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام؛ فالوصية شاملة لكم ولمن يأتي بعدكم إلى أن تقوم الساعة، ووصَّى بها يعقوب عَلَيْهِ السَّلَام بني إسرائيل الذين هم اليهود، فالله وصَّى بهذا العرب والعجم، وصَّاهم جميعاً

(١) انظر: ثلاثة الأصول (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الأول) (ص ١٨٩).

على لسان إبراهيم ويعقوب عَلَيْهِمَا السَّلَام: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ﴾ أي: اختاره لكم، هذه نعمة عظيمة، بينما أكثر البشر على الضلال، وأنتم أنعم الله عليكم بهذا الدين العظيم، وبعث إليكم هذا الرسول الكريم محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل الرسل، ودينكم أفضل الأديان، هذه نعمة عظيمة.

﴿أَصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ هذه هي المهمة، معناه: أن تثبت على هذا الدين حتى يأتيك الموت، فإذا جاءك الموت وأنت على هذا الدين فأنت من السعداء، أما إن جاءك الموت وأنت منحرف عن هذا الدين فأنت من الأشقياء، فالعبرة بالخاتمة التي تموت عليها.

﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ أي: اثبتوا. هذا في الحث على الثبات على الدين حتى يأتيك الموت وأنت عليه، لا تتركه أبدًا.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ١٣٠])، ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ﴾: استفهام إنكار، أي: لا يرغب أحد؛ يعني: لا يترك أحد ملة إبراهيم إن كان يريد النجاة لنفسه، فلا يترك ملة إبراهيم التي بُعث بها نبيُّنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ السَّفَهُ معناه: خفة العقل وضياعه، فمن ترك ملة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام فقد خسر نفسه وأهلكها، وأعز شيء عند الإنسان نفسه، فإذا خسر نفسه خسر أعز شيء عنده: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [الزمر: ١٥]، فكيف يخسر الإنسان نفسه؟ إذا ترك ملة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام خسر نفسه.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَأَشْبَاهُ هَذِهِ الْأُصُولِ الْكِبَارِ الَّتِي هِيَ أَصْلُ الْأُصُولِ، وَالنَّاسُ عَنْهَا فِي غَفْلَةٍ) أشباه هذه النصوص وهذه الآثار التي فيها هذه الوصايا العظيمة،

وأكثر الناس في غفلة عنها؛ لا يقرؤونها ولا يتعلمونها، وإذا تعلموها فقليل من يعمل بها، وإذا عملوا بها فقليل من يثبت عليها، فالأمر يحتاج إلى استعانة بالله عَزَّوَجَلَّ وإلى اهتمام، ولا يثق الإنسان بنفسه ويأمن من الفتن، بل يخاف من الفتن ويتجنبها، ولا يكون إمعة مع الناس، بل يكون مع الحق دائماً وأبداً، فإذا بلغه شيء فإنه يعرضه على الحق: فإن وافقه فالحمد لله، وإن خالفه فإنه يتركه.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (وَبِمَعْرِفَتِهَا يَتَبَيَّنُ مَعْنَى الْأَحَادِيثِ فِي هَذَا الْبَابِ وَأَمْثَالِهَا، وَأَمَّا الْإِنْسَانُ الَّذِي يَقْرُؤُهَا وَأَشْبَاهَهَا وَهُوَ آمِنٌ مُطْمَئِنٌّ أَنَّهَا لَا تَنَالُهُ، وَيَظُنُّ أَنَّهَا فِي قَوْمٍ كَانُوا فَبَادُوا؛ آمِنٌ مَكَرَ اللهِ ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]) الذي يقرأ هذه النصوص وأمثالها ويتفقه بها ويعمل بها، يكون على طريق النجاة، طريق السلامة، وأما الذي لا يلتفت إليها، أو يقرؤها ولكن لا يتأملها ولا يتفقه فيها، أو يأمن على نفسه من الفتن والانحراف؛ فهذا حَرِيٌّ أن يكون مع الهالكين؛ لأنه لم يأخذ بأسباب النجاة، وعلى الإنسان ألا يغتر بنفسه ولا بعلمه، ولا يغتر بدينه؛ لأن الإنسان بشر، وهو عرضة للفتن، والإنسان ضعيف؛ ولهذا كان نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكثر من قوله: «يَا مُقَلِّدَ الْقُلُوبِ وَالْأَبْصَارِ، ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»^(١)، وقال الله

(١) رُوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ عَنْ عِدَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ مِنْهُمْ: أَنَسٌ، وَعَائِشَةُ، وَأُمُّ سَلَمَةَ، وَجَابِرٌ، وَالنَّوَّاسُ بْنُ سَمْعَانَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ. أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٢١٤٠) وَحَسَنَهُ، وَابْنُ مَاجَهٍ (١٩٩) وَصَحَّحَهُ الْبُوصَيْرِيُّ، وَأَحْمَدُ (٩١/٦)، وَابْنُ حِبَانَ (٢٢٣/٣)، وَابْنُ أَبِي عَاصِمٍ (ح ٢٢٥)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي مُصَنَّفِهِ (٢٩١٩٦)، (٢٩١٩٧)، (٢٩١٩٩)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ (٧٥٩)، وَالْأَوْسَطُ (١٤٧/٢)، وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ (٧٠٦/١)، (٣٥٧/٤)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي الْكِبَرِيِّ (٤/٤١٤). وَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٧٣٩١) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «أَكْثَرُ مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْلِفُ: لَا وَمُقَلِّدِ الْقُلُوبِ».

تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴿آل عمران: ٧-٨﴾ الراسخون في العلم يخافون من الزيغ؛ لذلك يقولون: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾.

فالإنسان يكون على خوف، وإذا خاف فإنه يبحث عن النجاة، أما إذا أَمِنَ فإنه يقع في الهلاك وهو لا يدري؛ قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]. فالله جَلَّ وَعَلَا يمكر بأهل الشر؛ بمعنى: أنه يستدرجهم؛ عقوبة لهم، فمكره جَلَّ وَعَلَا بحق، وهو إيصال العقوبة إلى من يستحقها بطريق خفي لا يتنبه له، وهو من الله محمود؛ لأنه جزاءٌ وعدل، لا يمكر بأحد إلا وهو يستحق، لا يمكر بالصالحين، إنما يمكر بأهل الشر: ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَّرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، والجزاء من جنس العمل، فلما مكروا بعباد الله، ومكروا بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يريدون قتله أو سجنه أو طرده؛ مكر الله لرسوله، وأخرجه من بينهم وهم لا يشعرون، وخرج صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الغار واختفى فيه، ولمَّا انقطع الطلبُ ذهب إلى المدينة، ووجد الأنصار والمسلمين، وقامت دولة الإسلام، فالله مكر بالكفرة من حيث لا يشعرون.



وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا خَطًّا، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ». ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «هَذِهِ سُبُلٌ، عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ». وَقَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ (١).

الشرح

يقول تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ وقد فسر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا بمثال محسوس؛ بأن خطَّ خطًّا مستقيماً «ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ»، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن المستقيم: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ»، وقال عن بقية الخطوط: «هَذِهِ سُبُلٌ، عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ»، وهذا يذكرنا بالدعاة الذين مرَّ ذكرهم في حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا» (٢) هم هؤلاء، على كل سبيل شيطان منهم يدعو إليه، ليُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ إلى هذه السُّبُلِ، هؤلاء هم دعاة الضلال، هم الذين من جلدتنا، ويتكلمون بألستنا.



(١) أخرجه النسائي في الكبرى (١١١٠٩)، وأحمد (٢٠٧/٧-٢٠٨)، والدارمي (٢٠٨)، والبخاري (١١٣، ٩٩/٥)، وابن حبان (١٨٠/١)، والحاكم (٢٦١/٢).

(٢) سبق تخريجه (ص ١٣٦).

بَابُ مَا جَاءَ فِي غُرْبَةِ الْإِسْلَامِ وَفَضْلِ الْغُرَبَاءِ

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ [الآية: هود: ١١٦].

الشرح

بدأ الإسلام غريباً، فأول ما قام الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكة - لما بعثه الله وقال له: ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ [المدر: ٢]- قام وحده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم انضم إليه أبو بكر الصديق وبلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ولهذا لما سُئِلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حُرٌّ، وَعَبْدٌ»^(١) ما معه إلا اثنان فقط، ثم تتابع المسلمون واحداً واحداً وهم على خوف وامتحان وابتلاء، وتكون معه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جماعة في مكة، وهم يُؤذون ويُبتلون، إلى أن أذن الله لهم بالهجرة إلى المدينة، هذا معنى قوله: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا»، والغريب هو النادر، وهو الإنسان الذي يكون في بلدٍ غير بلده، أو يكون مع أناس ليسوا من جنسه،

(١) أخرجه مسلم (٢٩٤) (٨٣٢) من حديث عمرو بن عَبَسَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي، فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْتَخْفِياً جَرَاءً عَلَيْهِ قَوْمُهُ، فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا نَبِيٌّ، فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: أُرْسِلَنِي اللَّهُ، فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أُرْسِلَكَ؟ قَالَ: أُرْسِلَنِي بِصَلَةِ الْأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوحِدَ اللَّهُ لَا يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ، قُلْتُ لَهُ: فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: حُرٌّ، وَعَبْدٌ...».

كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»^(١). فالغربة: هي الشيء النادر، وكذلك الغريب: الشيء النادر القليل^(٢)، فالإسلام بدأ أول الأمر غريباً، يعني: قليلاً أهله، ثم تكاثروا؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الْإِنْحِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ [الفتح: ٢٩]، فالزرع أول ما يظهر يكون ضعيفاً قليلاً، ثم ينمو ويصبح له فراخ، والحببة الواحدة يتكون منها عدة قصبات؛ كقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾ [البقرة: ٢٦١]. ﴿أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ يعني فراخه ﴿فَآزَرَهُ﴾ يعني: قواه، فالزرعة إذا فَرَّخَتْ تَقْوَى، يصبح للنبته جذع، وغصون؛ فتقوى، فمن قصبة واحدة أصبحت عدة قصبات متجاورة قوية ﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾ أي: كان ضعيفاً فقوي ﴿فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾ أي: ارتفع عليها، والسوق: جمع ساق، وهي القصبات، هذا مثل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ يغيظ بالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الكفار، ومن هنا أخذ بعض العلماء أن من يَسُبُّ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يكفر؛ لقوله: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾، فقالوا: هذا دليل على أن من أبغض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وسبهم وتنقصهم أنه كافر^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٦٤١٦).

(٢) انظر: تأويل مختلف الحديث (١/ ١٨٠)، وشرح النووي على مسلم (٢/ ١٧٧).

(٣) قال ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وَمِنْ هَذِهِ الْآيَةِ أَنْتَزَعَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَضِيَ اللَّهُ فِي رِوَايَةٍ عَنْهُ بِتَكْفِيرِ الرَّاوِفِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ؛ قَالَ: لِأَنَّهُمْ يَغِيظُونَهُمْ، وَمَنْ غَاظَ الصَّحَابَةَ فَهُوَ كَافِرٌ؛ لِهَذِهِ الْآيَةِ، وَوَافَقَهُ طَائِفَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ عَلَى ذَلِكَ. وَالْأَحَادِيثُ فِي فَصَائِلِ الصَّحَابَةِ وَالنَّهْيِ عَنِ النَّعْزِضِ لَهُمْ بِمَسَاءَةِ كَثِيرَةٍ، وَيَكْفِيهِمْ ثَنَاءُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَرِضَاهُ عَنْهُمْ). انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٣٦٢). وانظر: زاد المسير (٤/ ١٤٠)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٢٩٧).

نعم بدأ الإسلام غريباً، فأول ما نشأ الإسلام كان غريباً، وفي آخر الزمان يعود غريباً، ويكون المتمسكون به غرباء مثلما كانوا في مكة في أول البعثة.

قال رَحِمَهُ اللهُ: ﴿وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةِ يَنْهَوْنَ﴾ الآية [هود: ١١٦] ﴿فَلَوْلَا﴾ معناه هَلَا، أي: هَلَا ﴿كَانَ مِنَ الْقُرُونِ﴾ يعني: من الأمم ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ لما ذكر سبحانه هلاك الأمم في سورة هود قال: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةِ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾ فما هلكت هذه الأمم إلا لأنها لم يكن فيها مَنْ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾؛ دَلَّ هذا على أن من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ينجو إذا جاء العذاب، وأما الذي لا يأمر ولا ينهى، فإنه يهلك ولو كان من الصالحين، لكن يبعثه الله يوم القيامة على نِيَّتِهِ كما جاء في الحديث^(١)، فإذا وقع العذاب لا ينجو إلا الذين يأمرون بالمعروف وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ.

فقوله: ﴿قَلِيلًا﴾ هؤلاء هم الغرباء، هذا وجه سياق المصنف للآية في غربة الإسلام.



(١) أخرجه أحمد (٨٩/٤٤)، والطبراني في الكبير (٤٠٩/٢٣)، والحاكم (٤٧٥/٤) عن أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قالت: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يَعُودُ عَائِدٌ بِالْجُبْرِ، فَيُبْعَثُ اللَّهُ جَيْشًا، فَإِذَا كَانُوا بَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ، خُسِفَ بِهِمْ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَكَيْفَ يَمُنُّ أُنْجَرُ كَارِهَا؟ قَالَ: يُخْسَفُ بِهِ مَعَهُمْ، وَلَكِنَّهُ يُبْعَثُ عَلَى نِيَّتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ^(١). وَرَوَاهُ أَحْمَدُ^(٢) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَفِيهِ: «قِيلَ: مَنْ الْغُرَبَاءُ؟ قَالَ: النَّزَّاعُ مِنَ الْقَبَائِلِ». وَفِي رِوَايَةٍ: «الْغُرَبَاءُ: الَّذِينَ يُصْلِحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ»^(٣).
 وَرَوَاهُ أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَفِيهِ: «فَطُوبَى لِلْيَوْمِئِذِ لِلْغُرَبَاءِ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ».
 وَلِلتِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ كَثِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ: «فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ، الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ مِنْ سُنَّتِي»^(٤).

الشرح

هذا خبر من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، معناه التحذير من الضلال، والحث على التمسك بالإسلام ولو كان أهله قليلين.

- (١) أخرجه مسلم (٢٣٢) (١٤٥).
- (٢) أخرجه أحمد وابنه عبد الله في المسند (٣٢٥ / ٦) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وسنده صحيح على شرط مسلم.
- (٣) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائده (٧٣ / ٤) من حديث عبد الرحمن بن سَنَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي إسناده إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة. قال الحافظ: (هو واه)، وقال البخاري: (حديثه ليس بقائم). انظر: تعجيل المنفعة (١ / ٨٠٠)، ومجمع الزوائد (٧ / ٢٨٧).
- وأخرجه الطبراني في الكبير (٥٨٦٧) من حديث سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
- (٤) أخرجه الترمذي (٢٦٣٠) من حديث كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده، وقال: (هذا حديث حسن صحيح).

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ» هذا ترغيب في أن يكون المسلم مع الغرباء في آخر الزمان، ولا يُزهد في الإسلام قلة أهله.

و«طُوبَى» قيل: هي شجرة في الجنة^(١)، وقيل: هي الجنة نفسها يقال لها طوبى^(٢)، وقيل: هي كلمة طيبة، ومنه قوله تعالى: ﴿طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَثَابٍ﴾ [الرعد: ٢٩].

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَرَوَاهُ أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَفِيهِ: «قِيلَ: مِنَ الْغُرَبَاءِ؟ قَالَ: النَّزَاعُ مِنَ الْقَبَائِلِ») النزاع: جمع نزيع ونازع، وهو الغريب الذي نزع عن أهله وعشيرته^(٣)؛ أي: الذين يخرجون عن الأوطان لإقامة سنن الدين، والقليل من الناس من يهجر وطنه وعشيرته من أجل إعلاء كلمة الحق، ومن أجل نشر دين الله الحق - وهو الإسلام - في أرجاء المعمورة.

(١) أخرجه ابن جرير (٥٢٩/١٣) عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا طُوبَى؟ قَالَ: «شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ مِائَةِ سَنَةٍ، ثِيَابُ أَهْلِ الْجَنَّةِ تَخْرُجُ مِنْ أَكْثَامِهَا».

وأخرجه الإمام أحمد في المسند (٢١١/١٨) عن أبي سعيد الخُدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّ رَجُلًا قَالَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، طُوبَى لِمَنْ رَأَى، وَآمَنَ بِكَ»، قَالَ: «طُوبَى لِمَنْ رَأَى وَآمَنَ بِى، ثُمَّ طُوبَى، ثُمَّ طُوبَى، ثُمَّ طُوبَى لِمَنْ آمَنَ بِى وَلَمْ يَرِنِ». قَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا طُوبَى؟ قَالَ: «شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ مِائَةِ سَنَةٍ، ثِيَابُ أَهْلِ الْجَنَّةِ تَخْرُجُ مِنْ أَكْثَامِهَا».

وله شواهد في الصحيحين، أخرجه البخاري (٦٥٥٣)، ومسلم (٢٨٢٨).

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث (١٤١/٣).

(٣) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٣٦٣/١)، ولمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح (٤٧٦/١)، وحاشية السندي على سنن ابن ماجه (٤٧٨/٢).

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَفِي رِوَايَةٍ: «الْغُرَبَاءُ: الَّذِينَ يَصْلِحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ»)

يعني جاء في وصفهم ثلاثة أوصاف:

الوصف الأول: «الْمُنْزَعُ مِنَ الْقَبَائِلِ»؛ يعني: الأفراد الذين يهجرون أوطانهم في سبيل إقامة سنن الدين، وهذا دليل على أن الإسلام في آخر الزمان سيصير غريبًا.

الوصف الثاني: «الْغُرَبَاءُ: الَّذِينَ يَصْلِحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ»، «يَصْلِحُونَ»

أي: يصبرون على الدين، ولا ينظرون لفساد الناس، ولا يقولون: نحن مثل الناس، لا نصبح بين الناس منفردين، نتابع الناس، نتابع المجتمع، نتابع البلد... لا، هؤلاء يصبرون ولو كانوا قليلين، ولو خالفهم الناس، يَصْلِحُونَ إذا فسد الناس ولا يفسدون مع الناس، ولكن كونهم يصلحون بين الناس هذا يحتاج إلى صبر وثبات وثقة ومعرفة.

الوصف الثالث: «يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ» يعني: يكونون صالحين

في أنفسهم، وَيُصْلِحُونَ ما أفسد الناس؛ بالدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتعليم الخير، يُصْلِحُونَ ما باستطاعتهم ولا يسكتون.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَرَوَاهُ أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَفِيهِ:

«فَطُوبَى يَوْمَئِذٍ لِلْغُرَبَاءِ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ») أي إذا فسد الناس لا يثبت على الحق إلا من كان عنده إيمانٌ و يقين وقوة، وإلا فإنه ينجرف مع الناس، فضعيف الإيمان أو مزعزع الإيمان أو قليل الفقه والعلم ينجرف مع الناس.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (وَلِلتَّزْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ كَثِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ: «طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ، الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ مِنْ سُتِّي» (يصلحون ما أفسد الناس، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧] لَمْ يَقُلْ: صالحون، بل قال: ﴿مُصْلِحُونَ﴾ يأمرهم بالمعروف، وينهون عن المنكر، وينشرون الخير، أما إذا كانوا صالحين في أنفسهم وساكتين فإنهم يهلكون مع الهالكين، تعمهم العقوبة في الدنيا، لكن يوم القيامة يبعثهم الله على نياتهم.



وَعَنْ أَبِي أُمَيَّةَ، قَالَ: «سَأَلْتُ أَبَا ثَعْلَبَةَ الْخُسَنِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا ثَعْلَبَةَ، كَيْفَ تَقُولُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]؟ فَقَالَ: أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ سَأَلْتُ عَنْهَا خَيْرًا، سَأَلْتُ عَنْهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: بَلِ اتَّعَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتُمْ شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤَثَّرَةً، وَاعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ؛ فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ، وَدَعْ عَنْكَ الْعَوَامَّ؛ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا الصَّابِرِ فِيهِنَّ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ. قُلْنَا: مِنَّا أَمْ مِنْهُمْ؟ قَالَ: بَلْ مِنْكُمْ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ^(١).

شرح

هذا حديث عظيم، يفسر قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]؛ لأنه قد يفهم منها بعض الناس أو كثير من الناس أنك إذا كنت صالحًا في نفسك، فلا تأمر بالمعروف ولا تنه عن المنكر، فيفهم من الآية أن معناها: ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تعتني بنفسك فقط! وهذا خطأ، ليس هذا هو تفسير الآية، وإنما تفسير الآية هو أنه إذا فسد الناس فلا تفسد أنت، هذا هو المقصود من الآية، ولا تقلد الناس، وأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو باقٍ

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٤١)، والتِّرْمِذِيُّ (٣٠٥٨)، وابن ماجه (٤٠١٤)، والطبراني في الكبير (٢٢٠/٢٢)، والبيهقي في الكبرى (١٥٧/١٠) من حديث أبي ثعلبة الخشني

لا يسقط؛ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^(١)؛ فلا بد من إنكار المنكر في كل زمان إلى أن تقوم الساعة، فليس معنى الآية ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكن معناها: أنك تصلح أنت ولا تنظر إلى فساد الناس، ومع صلاحك تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؛ ولهذا يقول أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّكُمْ تَقْرُؤُونَ هَذِهِ الْآيَةَ وَتَضَعُونَهَا عَلَى غَيْرِ مَوَاضِعِهَا: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾» [المائدة: ١٠٥]، وَإِنَّا سَمِعْنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ، أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ»^(٢). فليس معناها إسقاط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا كثّر الشر، وإنما معناها: أن على الإنسان ألا ينصرف مع الناس.

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا الصَّابِرِ فِيهِنَّ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ» هذا في آخر الزمان عند غربة الإسلام: يحتاج المسلم إلى الصبر، وإلا فإنه سيلقى من الناس التعب والمشقة؛ لأنه يعيش بين أناس يخالفونه في كل شيء، فعليه بالصبر وألا يزهد بالحق، ولا ينصرف مع الناس، وهذا يحتاج إلى صبر؛ لأنهم سيذمونه ويعيرونه، أو ربما يؤذونه ويضربونه أو يهددونه، ولكن عليه أن يصبر؛ لأنه على الحق، حتى لو قتلوه؛ لأنه على حق، فالإمام

(١) أخرجه مسلم (٨٠) (٥٠) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٣٣٨)، والترمذي (٢١٦٨)، وابن ماجه (٤٠٠٥)، وأحمد (٢٠٨/١).

أحمد رَحِمَهُ اللهُ سُحِبَ فِي الْأَسْوَاقِ، وَضُرِبَ حَتَّى أَغْمِيَ عَلَيْهِ، وَسُجِنَ رَحِمَهُ اللهُ، وَلَمْ يَبْعَأْ بِهَذِهِ الْأُمُورِ.

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ» هذه مسألة مشككة؛ فالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: إن الذي يتمسك بالدين في آخر الزمان عند الفتن له أجر خمسين رجلاً من الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، قالوا: «مِنَّا أَمْ مِنْهُمْ؟» قَالَ: «بَلْ مِنْكُمْ»، لماذا؟

لأن الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ مع الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والدين عزيز في ذلك الوقت، والمسلمون كثيرون، أما هذا فهو غريب، ومع هذا تمسك بالدين ودافع عن الدين، مع أنه ليس له أنصار ولا أعوان؛ ولذلك حاز على هذا الأجر، وأصبح في هذه المسألة أفضل من الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وهي مسألة خاصة، والصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أفضل منه في أمور أخرى في الصلابة، والجهاد في سبيل الله مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي الهجرة، هو أفضل منهم في خصلة واحدة، وهم أفضل منه في خصال كثيرة، فليس معنى هذا أنه يأتي في آخر الزمان من هو أفضل من الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ مطلقاً، لا، بل أفضل من الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ في نقطة واحدة فقط، والصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ عندهم فضائل كثيرة ليست عند هذا، ويقولون: إن الفضيلة الخاصة لا تقضي على الفضيلة العامة، ينبغي معرفة هذا، فالصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ لا أحد أفضل منهم أبداً.

وَرَوَى ابْنُ وَضَّاحٍ مَعْنَاهُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَلَفْظُهُ: «إِنَّ مِنْ بَعْدِكُمْ أَيَّامًا لِلصَّابِرِ فِيهَا الْمُتَمَسِّكِ بِمِثْلِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ الْيَوْمَ، لَهُ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ».

ثُمَّ قَالَ: أَنْبَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: أَنْبَأَنَا أَسَدٌ، قَالَ: أَنْبَأَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ أَسْلَمَ الْبَصْرِيِّ، عَنْ سَعِيدِ أَخِي الْحَسَنِ يَرْفَعُهُ، قُلْتُ لِسُفْيَانَ: عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «إِنَّكُمْ الْيَوْمَ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ، تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتُجَاهِدُونَ فِي اللَّهِ، وَلَمْ تَظْهَرُوا فِيكُمْ السَّكْرَتَانِ: سَكْرَةُ الْجَهْلِ، وَسَكْرَةُ حُبِّ الْعَيْشِ، وَتُحَوِّلُونَ عَنْ ذَلِكَ، فَلَا تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَا تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَا تُجَاهِدُونَ فِي اللَّهِ، وَتَظْهَرُ فِيكُمْ السَّكْرَتَانِ، فَلَا تَمْتَسِكُ يَوْمَئِذٍ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَهُ أَجْرُ خَمْسِينَ. قِيلَ: مِنْهُمْ؟ قَالَ: لَا، بَلْ مِنْكُمْ»^(١).

الشرح

ابن وضاح هو الإمام الحافظ، مُحدثُ الأندلس: محمد بن وضاح بن بَزِيع، له كتاب اسمه (الحوادث والبدع) مطبوع.

روى ابن وضاح معنى حديث أبي ثعلبة الخشني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولكن من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ولفظه: «إِنَّ مِنْ بَعْدِكُمْ أَيَّامًا لِلصَّابِرِ فِيهَا الْمُتَمَسِّكُ بِمِثْلِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ الْيَوْمَ، لَهُ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ».

هذه الأيام التي تشتد فيها غربة الإسلام، وقلة الأنصار والأعوان، وكثرة الأعداء والمخذلين والمرجفين، كما تعلمون الآن، والله أعلم يأتي زمان أشد من هذا، فالذي يَثْبُتُ على دينه، ويثبت على جهاده ودعوته، فهذا يكون كالقابض على الجمرة، ومن شدة ما يلقي من الناس يحتاج إلى صبر شديد.

(١) انظر: البدع لابن وضاح (ص ١٣٥).

«إِنَّ مِنْ بَعْدِكُمْ أَيَّامًا لِلصَّابِرِ فِيهَا الْمُتَمَسِّكِ بِمِثْلِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ الْيَوْمَ» يعني الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، الذي يثبت على الدين وعلى طريقة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يكون من الفرقة الناجية، هذا معناه؛ لأنه يصبر حينما يتزلزل كثير من الناس، حينما ينجرّف كثير من الناس، يصبر هو على الحق، ويصبر على مخالفة الناس ولوم الناس وذمّهم، بل يصبر على ما يناله منهم في نفسه، وفي جسمه، فقد يُضرب، وقد يُسجن، وقد يُقتل، يصبر لأنه على الدين، فما دام على الدين وعلى الحق فلا يهّمه ما يصيبه في هذه الدنيا؛ لأنه لحظة وينتهي.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (ثُمَّ قَالَ: أَنْبَأْنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: أَنْبَأَنَا أَسَدٌ، قَالَ: أَنْبَأَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ أَسْلَمَ الْبَصْرِيِّ، عَنْ سَعِيدِ أَخِي الْحَسَنِ يَرْفَعُهُ، قُلْتُ لِسُفْيَانَ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: نَعَمْ) يعني: هل هذا الذي ترويّه ورد عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ «قَالَ: نَعَمْ»، يعني: ليس أثرًا عن غير النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنما هو مرفوع للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

«وَلَمْ تَظْهَرْ فِيكُمْ السَّكَرَتَانِ: سَكْرَةُ الْجَهْلِ، وَسَكْرَةُ حُبِّ الْعَيْشِ»، السكرتان: سكرة الجهل، وسكرة حب الحياة، والجهل داء قاتل، وليّت الجاهل يسكت على جهله، ولكنه جاهل يتكلم في أمور الدين ويفتي، هذه المصيبة! أما الجاهل الذي يعترف بجهله، ويقصر شره عن الناس، هذا أخف من الجاهل الذي يتكلم في أمور الدين، ويحلل ويحرم، ويفتي وهو على جهل، فهذا يحدث في آخر الزمان حينما يَقِلُّ الفقهاء، ويكثرُ القراء، وَيَتَّخِذُ النَّاسُ رؤوسًا جهلاً يُفْتَوْنَ بغير علم، وَيَضِلُّونَ وَيُضِلُّونَ، هذه سكرة الجهل.

والثانية: حب العيش وحب الدنيا، فإذا أحب الدنيا، نسي الآخرة، وصار يعمل للدنيا، فالذي يحب شيئاً يعمل له، فيعمل للدنيا ولا يعمل للآخرة، هذا يصيب كثيراً من الناس في آخر الزمان: جهلٌ وتعلق بالدنيا، ونسيانٌ للآخرة، الآن يقولون: (لا تذكروا الجنة والنار في الخطب، وتخوفون الناس، هذا إرهاب، وأنتم أناس متزمتون، عندكم قنوط)! يقولون هذا الآن؛ لحبهم للدنيا، ولا يريدون ذكر الجنة والنار والقبر وعذاب القبر، يقولون: (أنتم تكذبون على الناس عيشتهم ولذتهم، فالناس يريدون أن يسرحوا ويمرحوا، وأنتم تقولون لهم: هناك جنةٌ ونارٌ وعذابٌ قبرٍ وحسابٌ!) يقولون: (لا تعرضوا هذا في الخطب)! فهذا من الفتن والعياذ بالله، وهذا ظهر في الناس، وكتبوه في الصحف، وقالوه في مجالسهم، وذموا الخطيب الذي يعظ الناس ويذكرهم بالله، ويقولون: (هذا تئيسٌ للناس وتكدير لهم)، فسبحان الله!



وَلَهُ بِإِسْنَادٍ عَنِ الْمَعَاذِرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ، الَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ حِينَ يُتْرَكُ، وَيَعْمَلُونَ بِالسُّنَّةِ حِينَ تُطْفَأُ»^(١).

الشرح

هذا كما سبق أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ: من الغرباء؟ قال: «الْغُرَبَاءُ: الَّذِينَ يَصْلِحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ»^(٢) وفي رواية: «الَّذِينَ يَصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ مِنْ سُنَّتِي»^(٣)، وهذا الحديث يقول فيه: «طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ، الَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ حِينَ يُتْرَكُ»، هم يتمسكون بأنفسهم، ويُمسِّكون غيرهم بكتاب الله، ويأمرون بالمعروف، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَيَعْلَمُونَ دِينَ اللَّهِ، وَيَدْعُونَ إِلَى اللَّهِ ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠]. فلا شك أن الذي يثبت على الدين عند الفتن والشُرور وانقلاب الناس ضده، أن هذا يُرجى له خيرٌ كثير، لكن هذا نادر، فأكثر الناس لا يصبرون، ولو أنهم يحبون الخير لصبروا، والشيخ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ له رسالة قيمة في هذا الموضوع، في مسألة الغربة، عنوانها: «كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة» مطبوعة، شرح فيها حديث: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غُرَبِيًّا، وَسَيَعُودُ غُرَبِيًّا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»^(٤).

(١) انظر: البدع لابن وضاح (ص ١٢٤).

(٢) سبق تخريجه (ص ١٥٧).

(٣) سبق تخريجه (ص ١٥٧).

(٤) سبق تخريجه (ص ١٥٧).

بَابُ التَّحْذِيرِ مِنَ الْبِدْعِ

الشرح

البدع: جمع بدعة، وهي: ما أحدث في الدين مما ليس منه؛ عبادة، أو ذكر، أو غير ذلك من أمور الدين^(١)، فالدين كاملٌ والله الحمد؛ لأنه ما تُوفِّي الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا والدين كاملٌ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، فلا يحتاج إلى أحد يأتي ويضيف إلى الدين شيئاً جديداً، ولو كانت نيته صالحةً، فلا يجوز هذا، فهذا مبتدعٌ ولو كانت نيته صالحةً، فالدين لا يقبل الزيادة والإضافة؛ لأن الله أكمله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾. فهذه هي البدعة، وقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ، فَهُوَ رَدٌّ»^(٢)، وفي رواية: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ»^(٣)، وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي»، كما يأتي في حديث العَرَبَاضِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»، ولَمَّا حَثَّ عَلَى التَّمَسُّكِ بِالسُّنَّةِ، نَهَى عَنِ الْبِدْعِ؛ فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَأَيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»^(٤)،

(١) سبق تعريفها: (ص ٨٢).

(٢) سبق تخريجه (ص ٢٨).

(٣) سبق تخريجه (ص ٢٨).

(٤) سبق تخريجه (ص ٨٣).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا»^(١)؛ فالواجب الاتِّباعُ، وتركُ الإحداثِ والاستحسانات والتقليدِ الأعمى للمبتدعة.



(١) سبق تخريجه (ص ٨٣).

عَنِ الْعَرَبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، وَجِلَّتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّهُمَا مَوْعِظَةٌ مُودَّعٍ فَأَوْصِنَا، قَالَ: «أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، وَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسِيرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، عَصُوا عَلَيَّهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ». قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»^(١).

الشرح

أمر الله رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يعظ الناس، فقال: ﴿وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٣]، فاليوم لو أتى أحد ليعظ، يقولون: هذا معقد متشائم... لا يفتح للناس البسمة والسرور والفرح! فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعظ أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وفي هذا دليل على أن العالم يعظ الناس؛ فقد كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَوَّلُ أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بالموعظة مخافة السامة^(٢)، يعني: يعظهم يوماً بعد يوم، لا يداوم على الوعظ، إنما يَتَخَوَّلُهُمْ يوماً بعد يوم أو بعد يومين أو ما شاء الله، لا يداوم على ذلك فيملل الناس، إنما يَتَخَوَّلُهُمْ.

(١) سبق تخريجه (ص ٨٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٨، ٦٤١١)، ومسلم (٨٢) (٢٨٢١) عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ؛ كَرَاهَةَ السَّامَةِ عَلَيْنَا».

وفي هذا الحديث قال العُرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَعَظَّنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، وَجِلَّتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ»، فهذا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو أعلم الخلق بالله عَزَّجَلَّ وبما يُرضي الله عَزَّجَلَّ، وبما يُنقِذُ النَّاسَ مِنَ الشَّرِّ، هو أعلم الخلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو يعظ، وليست موعظة يسيرة، ولكنها موعظة بليغة «وَجِلَّتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ»، وقد ذكروا أن هذا بعد صلاة الفجر، وقالوا: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّهَا مَوْعِظَةٌ مُودَّعٌ فَأَوْصِنَا»، فَهَمُوا مِنْهَا أَنَّهَا وصية من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن حياته على وَشَكِّ النهاية، كَأَنَّهَا وصية مُودَّع.

ومن عادة المودَّع -يعني: الذي يريد أن يسافر أو حضره الموت- أن يوصي أولاده أو من حوله: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾ [البقرة: ١٣٣] هذه سنة الأنبياء: أنهم يوصون أُمَمَهُمْ وَذُرَارِيَهُمْ.

«قَالَ: أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ» «أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ»: هذه كلمة جامعة لخصال الخير، يدخل فيها فعل الواجبات، وتركُ المحرَّمات؛ لأن هذا هو الذي يَبْقَى من عذاب الله، فأتى بكلمة جامعة، ثم فَصَّلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ»، ومن تقوى الله: السمع والطاعة لولاةِ أمور المسلمين؛ لأنه بالسمع والطاعة يحصل لهم اجتماع الكلمة، وقوَّةُ الأمة، وتمام الأمر، واندفاع الشرور والفتن، وإقامة الحدود، وإنصاف المظلومين من الظلمة... إلى آخر المصالح التي في الولاية، فهذا فيه وجوبُ نصب الوالي، ووجوبُ طاعته.

«أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ» إلا إذا أمر بمعصية، فلا يُطاعُ في تلك المعصية؛ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ»^(١)، أمّا ما عدا المعصية فيُطاع فيه، الأعداء الآن يريدون أن يُضعفوا المسلمين، وألا تبقى لهم ولايةٌ، ولا يبقى سَمْعٌ ولا طاعة، وإنما يُعطون الناس الحرية بما يريدون من الشرور والشهوات وأن ينحل الأمر، فالإسلام لا يصلح إلا بجماعة، والجماعة لا تقوم إلا بالولاية، والولاية لا تقوم إلا بالسمع والطاعة، لا بد من هذا، فالأعداء يريدون ألا يبقى للمسلمين جماعةٌ ولا إمامة؛ حتى يسهل انقيادهم للأعداء.

قال: «وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ» يعني: ولي الأمر يطاع لمنصبه، ولمكانته، ولا يُنظر إلى شخصه وهيئته، وإنما ينظر إلى منصبه العظيم الذي يتولاه، لا ينظر إلى أُهْبَتِهِ وإلى جَمَالِهِ، هذا من باب الحث والتأكيد، فليست المسألة مسألة منظر، أو أُهْبَةٍ، المسألة مسألة منصب ومقام، فلا يطاع لأجل رغبته هو، أو منفعته هو، وإنما يطاع لمنفعة المسلمين، ومصلحة المسلمين.

«وَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسِيرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا» هذا خبرٌ معناه التحذير، فإن من طالت حياته فسيرى اختلافاً، هذا في عصر الصحابة، فكيف بعد تطاول الزمن؟! فإنه يكثر الاختلاف والفرقُ والأحزاب، فالواجب عند ذلك التمسكُ بسنة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالعصمة من الاختلاف والعصمة من الخطر هو التمسكُ بسنة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولو كلفك هذا ثمناً باهظاً فاصبر.

والمراد بـ«بُسْتِي»: طريقته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

«وَسَنَّةُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ» الخلفاء الراشدون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هم: الخلفاء الأربعة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هؤلاء هم الخلفاء الراشدون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ لأن عملهم توطيدُ لسنة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتثبيتُ لها.

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَصُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ» هذا من شدة الحرص، شبه الواقع في الفتن كالواقع في اللَّجَّةِ، لا ينجو منها إلا بحبل يعتصم به، ويمسك الحبل، فلو أن الحبل انفلت منه غرق، فهو من حرصه على الحبل يَعِصُّ عليه بأضراسه، لا يكتفي بإمساكه بيديه، بل يعض عليه بأضراسه، هذا من شدة الخطر، وشدة الحرص على النجاة.

«وَيَاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» فما خالف سنة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسنة الخلفاء، فإنه من مُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، حَذَّرَ منه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإن كان أصحابه يحسّنونه ويقولون: هذا طاعة لله، وتقرب إليه، فإنه لا ينفع، ولا تتقرب إلى الله إلا بما شرع، أتتقربُ إلى الله بشيء لم يشرعه؟! هذا بدعة، لا تتقربُ إلى الله إلا بما شرع؛ فالعمل له شرطان: الأول: الإخلاص لله.

والثاني: العمل بالسُّنَّةِ وتجنبُ البدع.

فإن كان العمل فيه شركٌ فلا يُقبل، وإن كان مبتدعاً لا يقبل أيضاً.

«فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٍ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» هذا فيه ردُّ على من يقسمون البدعة إلى: بدعة حسنة، وبدعة سيئة، قالوا: إن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:

«مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ»^(١).

نقول: لم يَقُلْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (من ابتدع في الإسلام بدعة حسنة) حتى تقولوا: هناك بدعة حسنة، ومعنى: «سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً» أي: عمل بالسنة عند ترك الناس لها؛ لأن سبب الحديث في الذي بادر بالصدقة فاقتدى به الناس، وقدموا صدقاتهم، والصدقة سُنَّةٌ وليست بدعة، فيقتدون به إذا عمل بالسنة، وله أجرها وأجر من عمل بها، وهذا فيه الدعوة إلى السنة إذا تركها الناس.



(١) سبق تخريجه (ص ٩٧).

وَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كُلُّ عِبَادَةٍ لَا يَتَعَبَّدُهَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ، فَلَا تَعَبَّدُوهَا؛ فَإِنَّ الْأَوَّلَ لَمْ يَدْعُ لِلْآخِرِ مَقَالًا، فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا مَعْشَرَ الْقُرَاءِ، وَخُذُوا بِطَرِيقٍ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (١).

الشرح

الأصل سنة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن هم أعرف الناس بسنة الرسول؟ هم صحابته، هم الذين يبينون سنة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يروونها ويعملون بها، فالأخذ بما يعمل به الصحابة أخذٌ بسنة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنهم أقرب الناس إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم تلاميذه وتعلموا منه، وهم يحبون سنته عَلَيْهِ السَّلَامُ، والله جَلَّ وَعَلَا أمر بذلك بقوله: ﴿وَالسَّيْقُوتَ الْأُولَى مِنَ الْمُهْجَرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنِ﴾ [التوبة: ١٠٠] يعني: بإتقان، من غير إفراط ولا تفريط ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]. الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إجماعهم حجة (٢)، فإذا عملوا عملاً فهو من سنة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأما من جاء بعدهم فإنه يخطئ ويصيب.

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا مَعْشَرَ الْقُرَاءِ، وَخُذُوا بِطَرِيقٍ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ».

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص ١٦)، والمروزي في السنة (١/ ٣٠)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٩٠).

(٢) انظر: الفصول في الأصول (٣/ ٢٥٧)، وميزان الأصول في نتائج العقول (١/ ٤٩٢).

«يَا مَعْشَرَ الْقُرَّاءِ»، يريد: العلماء؛ لأنه في ذلك الوقت القراء هم العلماء، وليس المراد مجرد من يحفظون القرآن بالتجويد، لا، فالمراد بالقراء في الزمان الأول: العلماء؛ لأنهم ما كانوا يتجاوزون عشر آيات حتى يتعلموا معانيهنَّ ويعملوا بهنَّ، لم يكونوا يحفظون فقط^(١)، أما القراء الذين في آخر الزمان فأولئك ليسوا فقهاء، مجرد قُرَّاءٍ يقرؤون القرآن ولكن لا يتفقهونه، وقرؤون في الأحاديث ولا يتفقهون فيها، أو يفسرونها بفهمهم القاصر، أو بأهوائهم الضالة.



(١) كما في الحديث الذي أخرجه ابن أبي شيبة (١١٧/٦)، وابن وضاح (٢٥٥) عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، قَالَ: «إِنَّمَا أَخَذْنَا الْقُرْآنَ عَنْ قَوْمٍ أَخْبَرُونَا أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا تَعَلَّمُوا عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يَجَاوِزُوهُنَّ إِلَى الْعَشْرِ الْآخِرِ، حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِيهِنَّ مِنَ الْعَمَلِ، قَالَ: فَتَعَلَّمْنَا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ جَمِيعًا، وَأَنَّهُ سِيرْتُ الْقُرْآنَ بَعْدَنَا قَوْمٌ يَشْرَبُونَهُ شَرْبَ الْمَاءِ لَا يَجَاوِزُ هَذَا، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى حَنَكِهِ».

وَقَالَ الدَّارِمِيُّ: أَخْبَرَنَا الْحَكَمُ بْنُ الْمُبَارَكِ، أَنَبَانَا عَمْرُو بْنُ يَحْيَى، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي، يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: «كُنَّا نَجْلِسُ عَلَى بَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَبْلَ صَلَاةِ الْعِدَّةِ، فَإِذَا خَرَجَ مَشِينَا مَعَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَجَاءَنَا أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: أَخْرَجَ إِلَيْكُم أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَعْدُ؟ قُلْنَا: لَا. فَجَلَسَ مَعَنَا حَتَّى خَرَجَ، فَلَمَّا خَرَجَ قُمْنَا إِلَيْهِ جَمِيعًا، فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَى: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ آفًا أَمَرًا أَنْكَرْتُهُ، وَلَمْ أَرَ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - إِلَّا خَيْرًا. قَالَ: فَمَا هُوَ؟ فَقَالَ: إِنِّ عِشْتَ فَسْتَرَاهُ. قَالَ: رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ قَوْمًا حَلَقًا جُلُوسًا يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ، فِي كُلِّ حَلَقَةٍ رَجُلٌ، وَفِي أَيْدِيهِمْ حَصَى، فَيَقُولُ: كَبَرُوا مِئَةً، فَيَكْبَرُونَ مِئَةً، فَيَقُولُ: هَلَّلُوا مِئَةً، فَيَهْلَلُونَ مِئَةً، فَيَقُولُ: سَبَّحُوا مِئَةً، فَيَسَبِّحُونَ مِئَةً، قَالَ: فَمَاذَا قُلْتُمْ لَهُمْ؟ قَالَ: مَا قُلْتُ لَهُمْ شَيْئًا أَنْتَظَرُ رَأْيَكَ أَوْ أَنْتَظَرُ أَمْرِكَ. قَالَ: أَفَلَا أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعُدُّوا سَيِّئَاتِهِمْ، وَضَمِنْتَ لَهُمْ أَلَّا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ شَيْءٌ؟ ثُمَّ مَضَى وَمَضِينَا مَعَهُ، حَتَّى أَتَى حَلَقَةً مِنْ تِلْكَ الْحَلَقِ، فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: مَا هَذَا الَّذِي أَرَأَكُمْ تَصْنَعُونَ؟ قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَصَى نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّسْبِيحَ. قَالَ: فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ، فَأَنَا ضَامِنٌ أَلَّا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ! وَيُحْكُمُ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ! مَا أَسْرَعَ هَلَكَتِكُمْ! هَؤُلَاءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوَافِرُونَ، وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبَلْ، وَآيَتُهُ لَمْ تُكْسَرْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّكُمْ لَعَلَّ مِلَّةً هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ مُفْتَتِحُو بَابِ ضَلَالَةٍ. قَالُوا: وَاللَّهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيْرَ. قَالَ: وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَنَا أَنَّ قَوْمًا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، وَإِنَّمَا اللَّهُ، مَا أَذْرِي، لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ.

ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ. فَقَالَ عَمْرُو بْنُ سَلَمَةَ: رَأَيْنَا عَامَّةً أَوْلَيْكَ الْحَلْقِ يُطَاعُونَنَا يَوْمَ
النَّهْرِ وَإِن مَعَ الْخَوَارِجِ^(١).

الشرح

هذه قصة عظيمة وعجيبة، حصلت من ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، تدل على
فقهه وقوّته في الحق.

وهذا فيه تقدير السلف لأهل العلم، كانوا يحرصون على أخذ العلم
عنهم، والمشي معهم، ومجالستهم، خلافاً للذين يقولون الآن: العلماء
متحجرون، والعلماء نفعيون، والعلماء أصحاب وظائف، ويحذرون من
العلماء!

قال: «كُنَّا نَجْلِسُ عَلَى بَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَبْلَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ،
فَإِذَا خَرَجَ مَشِينَا مَعَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَجَاءَنَا أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» ابن
مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان مفتياً في الكوفة ومعلماً، وأبو موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان أميراً
على الكوفة، فهما صحابيَّان جليلان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أحدهما كان أميراً، والآخر كان
مفتياً ومعلماً.

«فَقَالَ: أَخْرَجَ إِلَيْكُمُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَعْدُ؟ قُلْنَا: لَا. فَجَلَسَ مَعَنَا حَتَّى
خَرَجَ، فَلَمَّا خَرَجَ قُمْنَا إِلَيْهِ جَمِيعًا، فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَى: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنِّي

(١) أخرجه الدارمي (٢١٠)، وبحشل في تاريخ واسط (ص ١٩٨، ١٩٩)، والخطيب
البغدادي في تاريخ بغداد (١٢/١٦٢).

رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ آفَافًا أَمْرًا أَنْكَرْتُهُ، وَلَمْ أَرَ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - إِلَّا خَيْرًا. قَالَ: فَمَا هُوَ؟ فَقَالَ: إِنَّ عِشْتَ فَسَرَاهُ. قَالَ: رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ قَوْمًا حَلَقًا جُلُوسًا يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ، فِي كُلِّ حَلَقَةٍ رَجُلٌ، وَفِي أَيْدِيهِمْ حَصَى، فَيَقُولُ: كَبِّرُوا مِئَةً، فَيُكَبِّرُونَ مِئَةً، فَيَقُولُ: هَلِّلُوا مِئَةً، فَيَهْلِلُونَ مِئَةً، فَيَقُولُ: سَبِّحُوا مِئَةً، فَيَسْبِّحُونَ مِئَةً، قَالَ: فَمَاذَا قُلْتُمْ لَهُمْ؟ قَالَ: مَا قُلْتُ لَهُمْ شَيْئًا أَنْتَظَرُ رَأْيَكَ أَوْ أَنْتَظَرُ أَمْرَكَ» أصل التسييح والتهليل والتكبير مشروع، لكن جعله على هذه الصفة: يتحلقون حلقات، ومعهم رجل، ومعهم حصى، يقول لهم: كبروا مئة، فيكبرون، ويعددون مئة بالحصى، ثم يقول: هلّلوا مئة، فيهللون بالحصى... إلى آخره، هذه الصورة فيها بدعة، أما التسييح والتهليل والتكبير فهذا مشروع، أما الصورة فهي بدعة، ما أمر بها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا فعلها، وهذه تقول إلى شر كما يأتي في آخر القصة.

«قَالَ: أَفَلَا أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعُدُّوا سَيِّئَاتِهِمْ، وَضَمِنْتَ لَهُمْ أَلَّا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ»، يقول: عليك أن تعدّ سيئاتك وتتوب منها، أما الحسنات فاعملها ولا تعدّها، تقول: أنا سبحت مئة، وألفًا، أو عشرين ألفًا، وما أشبه ذلك! هذا من الرياء، وهذا بدعة.

قال: «ثُمَّ مَضَى وَمَضَيْنَا مَعَهُ، حَتَّى أَتَى حَلَقَةً مِنْ تِلْكَ الْحَلَقِ، فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: مَا هَذَا الَّذِي أَرَأَكُمْ تَصْنَعُونَ؟ قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَصَى نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّسْيِيحَ. قَالَ: فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ، فَإِنَّا ضَامِنٌ أَلَّا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ! وَيُحْكَمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ! مَا أَسْرَعَ هَلَكَتِكُمْ! هَؤُلَاءِ صَحَابَةُ

نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوَافِرُونَ، وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبَلْ، وَأَنِيتُهُ لَمْ تُكْسَرْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ مُفْتَتِحُو بَابِ ضَلَالَةٍ. قَالُوا: وَاللَّهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيْرَ، فمجرد النية وإرادة الخير لا تُسَوِّغُ البدعة، فالبدعة بدعة وهي شر، وإن كانت نية صاحبها حسنة وقصده حسناً.

قال: «قَالَ: وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ، إِنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَنَا أَنَّ قَوْمًا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ»، أتى بحديث الخوارج الذين يغلون في الدين، ويعملون من غير دليل وفقه، وإنما يقرؤون القرآن من غير فهمٍ له، ويجتهدون من عند أنفسهم وبآرائهم من غير أن يتفقهوا في دين الله، هذه طريقة الخوارج، فتوقعَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُمْ سَيَكُونُونَ مِنَ الْخَوَارِجِ؛ لِأَنَّ الْبَدْعَةَ تَجْرُ إِلَى الشَّرِّ، وَأَمَّا السُّنَّةُ فَتَجْرُ إِلَى الْخَيْرِ.

قال: «وَأَيْنُمُ اللَّهُ، مَا أَدْرِي، لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ. ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ. فَقَالَ عَمْرُو بْنُ سَلَمَةَ: رَأَيْنَا عَامَّةَ أَوْلِيكَ الْحَلْقِ يُطَاعِنُونَنَا يَوْمَ النَّهْرَوَانِ مَعَ الْخَوَارِجِ».

كما توقع ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: رَأَاهُمْ مَعَ الْخَوَارِجِ، يَقْتُلُونَ الْمُسْلِمِينَ فِي النَّهْرَوَانِ، وَالنَّهْرَوَانِ مَوْقِعَةٌ جَرَتْ بَيْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَالْخَوَارِجِ، فَنَصَرَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمْ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً، وَكَانَتْ وَقْعَةُ النَّهْرَوَانِ فِي الْعِرَاقِ، فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَخَذُوا هَذِهِ الْبَدْعَةَ جَرَّتْهُمْ إِلَى الْخَوَارِجِ، وَصَارُوا مَعَهُمْ، وَقُتِلُوا مَعَهُمْ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ، فَهَذَا فِيهِ التَّحْذِيرُ مِنَ الْبَدْعِ، وَأَنَّهَا تَجْرُ إِلَى شَرٍّ، وَلَوْ كَانَتْ

نية أصحابها حسنة، أو مقاصدُهم طيبة؛ لأنه ليس المدار على النية والقصد، وإنما المدار على الدليل من كتاب الله أو من سنة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالدين كامل والله الحمد: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣].

فما لم يأمر به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يفعله ولم يُقرَّ أحدًا عليه، فإنه ليس من الدين، وإنما هو من البدع.



وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ، وَعَلَيْهِ التَّكْلَانُ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى
آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

الشرح

ختم رَحْمَةُ اللَّهِ الْكَتَابَ بِهَذَا الدُّعَاءِ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ، وَعَلَيْهِ التَّكْلَانُ،
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ.



فهرس المراجع

✽ أحكام القرآن، المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي
المعافري الإشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، راجع أصوله وخرج
أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب
العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، عدد
الأجزاء: ٤.

✽ الإحكام في أصول الأحكام، اسم المؤلف: علي بن أحمد بن حزم
الأندلسي أبو محمد، دار النشر: دار الحديث القاهرة ١٤٠٤ هـ الطبعة
الأولى.

✽ الأسماء والصفات للبيهقي، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى
الخُسْرُو جُردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨ هـ)، حققه
وخرج أحاديثه وعلّق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي، قدم له: فضيلة
الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، الناشر: مكتبة السوادي، جدة -
المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م، عدد
الأجزاء: ٢.

✽ اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، المؤلف: تقي الدين
أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم
ابن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ هـ)، المحقق:
ناصر عبد الكريم العقل، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان،
الطبعة: السابعة، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٢.

الإيمان للعدني، اسم المؤلف: محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني، دار النشر: الدار السلفية - الكويت - ١٤٠٧، الطبعة: الأولى، تحقيق: حمد ابن حمدي الجابري الحربي.

البدء والتاريخ، المؤلف: المطهر بن طاهر المقدسي (المتوفى: نحو ٣٥٥هـ)، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، عدد الأجزاء: ٦.

البداية والنهاية، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م.

البدع والنهي عنها، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن وضاح بن بزيع المرواني القرطبي (المتوفى: ٢٨٦هـ)، تحقيق ودراسة: عمرو عبد المنعم سليم، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة - مصر، مكتبة العلم، جدة - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ، عدد الأجزاء: ١.

تاج العروس من جواهر القاموس، محبّ الدين أبو الفيض محمد بن مرتضي الزبيدي، دار الفكر، طبعة ١٤١٤هـ.

تاريخ الإسلام، شمس الدين الذهبي، تحقيق عمر تدمري، طبعة ١٤٠٩هـ.

تاريخ الطبري، لأبي جعفر بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت.

تاريخ بغداد، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: الدكتور بشار عواد

معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، عدد الأجزاء: ١٦.

✽ تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٩٩٥م.

✽ تاريخ واسط، اسم المؤلف: أسلم بن سهل الرزاز الواسطي، دار النشر: عالم الكتب بيروت ١٤٠٦هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: كوركيس عواد.

✽ تأويل مختلف الحديث، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، الناشر: المكتب الاسلامي - مؤسسة الإشراف، الطبعة: الطبعة الثانية - مزيده ومنقحة ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ١

✽ تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: د. إكرام الله إمداد الحق، الناشر: دار البشائر - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٩٩٦م، عدد الأجزاء: ٢.

✽ التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

✽ تعظيم قدر الصلاة، محمد بن نصر المروزي، تحقيق عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

✽ تغليق التعليق على صحيح البخاري. لابن حجر العسقلاني، دار النشر: المكتب الإسلامي، دار عمار بيروت، عمان الأردن - ١٤٠٥، الطبعة الأولى، تحقيق: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي.

✽ تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا.

✽ تفسير البغوي، معالم التنزيل، تحقيق: محمد النمر، وعثمان صميرية، وسليمان الحرش. دار طيبة، الرياض الطبعة الرابعة ١٤١٤هـ.

✽ تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: ٢٦ مجلد ٢٤ مجلدان فهارس.

✽ تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٨.

✽ تفسير القرطبي، طبعة دار الشعب، القاهرة، وطبعة دار الكتاب العربي، بيروت.

✽ تفسير الماوردي = النكت والعيون، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد ابن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، عدد الأجزاء: ٦.

✽ تفسير عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ.

✽ التمهيد، يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف، المغرب، طبعة ١٣٨٧ هـ.

✽ تهذيب التهذيب، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ابن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢ هـ)، الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦ هـ، عدد الأجزاء: ١٢.

✽ تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار القومية العربية، مصر.

✽ توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأخير (المتوفى: ١١٨٢ هـ)، المحقق: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م، عدد الأجزاء: ٢.

✽ ثلاثة الأصول (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الأول)، المؤلف: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: ١٢٠٦ هـ)، المحقق: ناصر بن عبد الله الطريم وغيره، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، عدد الأجزاء: ١.

❖ حاشية السندي على سنن ابن ماجه = كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه، المؤلف: محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي (المتوفى: ١٣٨هـ)، الناشر: دار الجليل - بيروت، بدون طبعة، (نفس صفحات دار الفكر، الطبعة - الثانية).

❖ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

❖ الدر المنثور، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت، عدد الأجزاء: ٨.

❖ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل محمود الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

❖ الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، المؤلف: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: ٥٨١هـ)، المحقق: عمر عبد السلام السلامي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

❖ زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢هـ.

❖ الزهد والرقائق لابن المبارك (يليه «مَا رَوَاهُ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ فِي نُسخَتِهِ زَائِدًا عَلَى مَا رَوَاهُ الْمَرْوَزِيُّ عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ فِي كِتَابِ الزُّهْدِ»)، المؤلف:

أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المروزي (المتوفى: ١٨١هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ١.

❖ الزهد، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ١.

❖ السنة لابن أبي عاصم، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.

❖ السنة، اسم المؤلف: محمد بن نصر بن الحجاج المروزي أبو عبد الله، دار النشر: مؤسسة الكتب الثقافية بيروت ١٤٠٨، الطبعة: الأولى، تحقيق: سالم أحمد السلف.

❖ سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

❖ سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.

❖ سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا. مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.

❖ سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث، بيروت.

❖ سنن الدارقطني، تحقيق السيد عبد الله هاشم المدني، دار المعرفة، بيروت.

- ❁ سنن الدارمي، تحقيق فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ.
- ❁ السنن الصغرى للبيهقي، تحقيق: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ.
- ❁ السنن الصغرى للنسائي (المجتبى)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ.
- ❁ السنن الكبرى للنسائي، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ.
- ❁ السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، اسم المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، دار النشر: دار المعرفة.
- ❁ سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة ١٤١٣ هـ.
- ❁ السيرة النبوية - ابن هشام - مكتبة المنار - الأردن - ١٤٠٦ هـ.
- ❁ السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤ هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، عام النشر: ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م.
- ❁ شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي، تحقيق أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، طبعة ١٤٠٢ هـ.

✽ شرح العقيدة الطحاوية، المؤلف: صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ ابن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عبد الله بن المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: العاشرة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ٢.

✽ شرح القصيدة النونية، أحمد بن إبراهيم بن عيسى، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ.

✽ شرح النووي على صحيح مسلم، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ.

✽ شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر، المؤلف: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، المحقق: قدم له: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، حققه وعلق عليه: محمد نزار تميم وهيثم نزار تميم، الناشر: دار الأرقم - لبنان / بيروت، عدد الأجزاء: ١

✽ شعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

✽ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، عدد الأجزاء: ٦.

- ❖ صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ.
- ❖ صحيح البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ.
- ❖ صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت.
- ❖ صفة الصفوة - ابن الجوزي - دار المعرفة - بيروت ١٩٧٩ م.
- ❖ العدة شرح العمدة [وهو شرح لكتاب عمدة الفقه، لموفق الدين بن قدامة المقدسي]، المؤلف: عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد، أبو محمد بهاء الدين المقدسي (المتوفى: ٦٢٤ هـ)، المحقق: صلاح بن محمد عويضة، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الطبعة الثانية، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م
- ❖ العظمة، لأبي الشيخ عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري. دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ.
- ❖ العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
- ❖ غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، المؤلف: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨ هـ)، الناشر: مؤسسة قرطبة - مصر، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م، عدد الأجزاء: ٢.

✻ غريب الحديث، المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨ هـ)، المحقق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، الناشر: دار الفكر - دمشق، عام النشر: ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م، عدد الأجزاء: ٣.

✻ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.

✻ فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠ هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.

✻ الفردوس بمأثور الخطاب، لأبي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة ١٤٠٦ هـ.

✻ الفرق بين الفرق، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٧ م.

✻ الفصول في الأصول، المؤلف: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: ٣٧٠ هـ)، الناشر: وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م، عدد الأجزاء: ٤.

✻ فوات الوفيات والذيل عليها، لمحمد بن شاكر الكتبي، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

- ❖ الفوائد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م، عدد الأجزاء: ١
- ❖ الكافي في فقه الإمام أحمد، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م، عدد الأجزاء: ٤.
- ❖ كشف الخفاء ومزيل اللباس عما اشتهر من الأحاديث على السنة الناس، إسماعيل بن محمد العجلوني، تحقيق أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.
- ❖ لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ، عدد الأجزاء: ١٥.
- ❖ لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح، المؤلف: عبد الحق بن سيف الدين بن سعد الله البخاري الدهلوي الحنفي، المولود بدلهي في الهند سنة (٩٥٨ هـ) والمتوفى بها سنة (١٠٥٢ هـ) رَحِمَهُ اللهُ، تحقيق وتعليق: الأستاذ الدكتور تقي الدين الندوي، الناشر: دار النوادر، دمشق - سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م، عدد الأجزاء: ١٠.
- ❖ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان للتراث، القاهرة، وبيروت.

- ❖ مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم النجدي، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية.
- ❖ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية)، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي.
- ❖ مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- ❖ مدارج السالكين بين منازل إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ.
- ❖ المدخل إلى السنن الكبرى، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جَرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، الناشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت، عدد الأجزاء: ١.
- ❖ مسائل أحمد بن حنبل رواية ابنه عبد الله، المؤلف: عبد الله بن أحمد بن حنبل، سنة الولادة ٢١٣هـ / سنة الوفاة ٢٩٠هـ، تحقيق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، سنة النشر: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، مكان النشر: بيروت، عدد الأجزاء: ١.

- ✽ المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
- ✽ مسند أبي يعلى، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
- ✽ مسند أحمد بن حنبل - النسخة المحققة بإشراف شعيب الأرناؤوط. مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ.
- ✽ مسند البزار، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، المدينة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
- ✽ مسند الشاميين، أبو القاسم الطبراني، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
- ✽ مسند الشهاب، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي ابن حكمون القضاعي المصري (المتوفى: ٤٥٤هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ - ١٩٨٦، عدد الأجزاء: ٢.
- ✽ مسند عبد بن حميد، تحقيق صبحي البديري ومحمود محمد خليل، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- ✽ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ٢ (في مجلد واحد وترقيم مسلسل واحد).

- ❖ مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ.
- ❖ مصنف عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ.
- ❖ المعجم الأوسط، أبو القاسم الطبراني، تحقيق طارق بن عوض الله وعبد المحسن ابن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، طبعة ١٤١٥ هـ.
- ❖ المعجم الصغير، أبو القاسم الطبراني، تحقيق محمد شكور، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ.
- ❖ المعجم الكبير، أبو القاسم الطبراني، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ.
- ❖ معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، دار إحياء التراث العربي، بيروت، طبعة ١٤٢٢ هـ.
- ❖ المغني لابن قدامة، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجعافيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠ هـ)، الناشر: مكتبة القاهرة، عدد الأجزاء: ١٠، تاريخ النشر: ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.
- ❖ مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ٢ - ١.

- ❁ المفهم لما أشكل على صحيح مسلم، لأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي، حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب مستو وزملاؤه، دار ابن كثير بدمشق وببيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ.
- ❁ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن علي الأشعري، تحقيق هلموت ريتز، دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا).
- ❁ الملل والنحل، للشهرستاني، الناشر: مؤسسة الحلبي.
- ❁ المنتخب من مسند عبد بن حميد، المؤلف: أبو محمد عبد الحميد بن حميد ابن نصر الكشي ويقال له: الكشي بالفتح والإعجام (المتوفى: ٢٤٩ هـ)، المحقق: صبحي البدر السامرائي، محمود محمد خليل الصعيدي، الناشر: مكتبة السنة - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ - ١٩٨٨، عدد الأجزاء: ١.
- ❁ ميزان الأصول في نتائج العقول، المؤلف: علاء الدين شمس النظر أبو بكر محمد بن أحمد السمرقندي (المتوفى: ٥٣٩ هـ)، حققه وعلق عليه وينشره لأول مرة: الدكتور محمد زكي عبد البر، الأستاذ بكلية الشريعة - جامعة قطر، ونائب رئيس محكمة النقض بمصر (سابقاً)، الناشر: مطابع الدوحة الحديثة، قطر، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م، عدد الأجزاء: ١.
- ❁ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨ هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م، عدد الأجزاء: ٤.

- ✽ نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، الناشر: مطبعة سفير بالرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، عدد الأجزاء: ١.
- ✽ النكت على مقدمة ابن الصلاح، المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد ابن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، المحقق: د. زين العابدين بن محمد بلا فريج، الناشر: أضواء السلف - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ٣.
- ✽ النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، الناشر المكتبة العلمية، سنة النشر ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، بيروت، عدد الأجزاء ٥.
- ✽ الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، طبعة ١٤٢٠هـ.
- ✽ وفيات الأعيان وأنباء أبناء زمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان.
- ✽ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، المؤلف: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)، المحقق: د. مفيد محمد قمحية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، عدد الأجزاء: ٤.

❁ اليقين لابن أبي الدنيا، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن
سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا
(المتوفى: ٢٨١هـ)، حققه وعلق عليه: ياسين محمد السورس، الناشر:
دار البشائر الإسلامية، عدد الأجزاء: ١



فهرس الموضوعات

- ٥..... مقدمة الناشر.
- ٧..... مقدمة الشارح.
- ٩..... بَابُ: فَضْلِ الْإِسْلَامِ.....
- تفسير قول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ
- نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾..... ٩
- تفسير قول الله تعالى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ دِينِي
- فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُمُ﴾..... ١٢
- تفسير قول الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا
- بِرِسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِّن رَّحْمَتِهِ﴾..... ١٤
- شرح حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ كَمَثَلِ
- رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أَجْرَاءَ...»..... ١٦
- شرح حديث: «أَصْلَ اللَّهُ عَنِ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا...»..... ١٧
- شرح حديث: «أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ»..... ١٩
- شرح أثر أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «عَلَيْكُمْ بِالسَّيْلِ وَالسُّنَّةِ»..... ٢١
- شرح أثر أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يَا حَبَّذَا نَوْمُ الْأَكْيَاسِ...»..... ٢٣

- ٢٤..... بَابُ وُجُوبِ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ.
- تفسير قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾.
- ٢٤..... تفسير قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾.
- ٢٦..... شرح حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ».
- ٢٨..... شرح حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى...».
- ٢٩..... شرح حديث: «أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ ثَلَاثَةٌ: مُلْحِدٌ فِي الْحَرَمِ...».
- ٣٠..... المراد بالحرَم.
- ٣١..... تفسير قوله: «وَمُتَّبِعٌ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ».
- ٣٢..... تعريف الجاهلية.
- ٣٢..... شرح أثر حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يَا مَعْشَرَ الْقُرَاءِ اسْتَقِيمُوا...».
- ٣٥..... شرح أثر ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَيْسَ عَامٌّ إِلَّا وَالَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ».
- ٣٦..... بَابُ: تَفْسِيرِ الْإِسْلَامِ.
- ٣٨..... تفسير قول الله تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجَّوكَ فَقُلْ أَسَلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ الآية.
- ٣٨..... شرح حديث: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ...».
- ٤٠.....

- شرح حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»..... ٤٣
- شرح حديث: «أَنْ تُسَلِّمَ قَلْبَكَ لِلَّهِ تَعَالَى...» الحديث..... ٤٤
- شرح حديث: «أَنْ يُسَلِّمَ قَلْبَكَ لِلَّهِ تَعَالَى...» الحديث..... ٤٥
- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾..... ٤٧
- شرح حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «تَجِيءُ الْأَعْمَالُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَتَجِيءُ الصَّلَاةُ...»..... ٤٩
- بَابُ وَجُوبِ الْأَسْتِغْنَاءِ بِمُتَابَعَةِ الْكِتَابِ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ..... ٥١
- تفسير قول الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾..... ٥١
- شرح حديث: «أَمْتَهُوْكُمْ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟...» الحديث..... ٥١
- بَابُ مَا جَاءَ فِي الْخُرُوجِ عَنْ دَعْوَى الْإِسْلَامِ..... ٥٤
- تفسير قول الله تعالى: ﴿هُوَ سَمَنُكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾..... ٥٤
- شرح حديث الحارث الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَأَنَا أَمْرُكُمْ بِخَمْسٍ...»..... ٥٦
- شرح حديث: «مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قَيْدَ شَبْرٍ، فَمَاتَ فَمِيتُهُ جَاهِلِيَّةٌ»..... ٦٥
- شرح كلام شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَكُلُّ مَا خَرَجَ عَنْ دَعْوَةِ الْإِسْلَامِ وَالْقُرْآنِ...)..... ٦٦
- بَابُ وَجُوبِ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ كُلِّهِ وَتَرْكِ مَا سِوَاهُ..... ٦٩
- تفسير قول الله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾..... ٦٩

- تفسير قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا
 ٧١ أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾.....
- تفسير قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ
 ٧٢ فِي شَيْءٍ﴾.....
- شرح أثر ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ
 ٧٣ وُجُوهٌ﴾.....
- شرح حديث: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى
 ٧٥ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذَوِ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ...».....
- شرح حديث معاوية: «إِنَّهُ سَيُخْرِجُ فِي أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَتَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ
 ٨٠ الْأَهْوَاءُ...».....
- بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ الْبِدْعَةَ أَشَدُّ مِنَ الْكِبَائِرِ..... ٨٢
- حكم مرتكب الكبيرة دون الشرك عند أهل السنة والجماعة..... ٨٦
- تفسير قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ
 ٨٩ لِمَنْ يَشَاءُ﴾.....
- تفسير قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا
 ٩٠ لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.....
- تفسير قول الله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ
 ٩١ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾.....
- شرح قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ»..... ٩٢
- النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عن قتل أمراء الجور..... ٩٥

- شرح حَدِيثِ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً...» ٩٧.....
- شرح حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى...» ٩٩.....
- بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ اللَّهَ اخْتَجَزَ التَّوْبَةَ عَنْ صَاحِبِ الْبُدْعَةِ ١٠١.....
- شرح أثر أَيُّوبَ: «كَانَ رَجُلٌ يَرَى رَأْيًا فَرَجَعَ عَنْهُ، فَاتَّيْتُ مُحَمَّدًا فَرَحًا بِذَلِكَ...» ١٠٢.....
- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَتَاهَلُ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ ١٠٤.....
- تفسير قولِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ، وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ١٠٦.....
- شرح قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ آلَ أَبِي فَلَانٍ لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ، إِنَّمَا أَوْلِيَائِي الْمُتَّقُونَ» ١٠٧.....
- شرح حَدِيثِ: «...فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي، فَلَيْسَ مِنِّي» ١٠٩.....
- بَابُ: قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَاقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا...﴾ ١١٣.....
- تفسير قولِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَبْنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ١١٧.....
- تفسير قولِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ١٢٠.....
- شرح حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ وُلَاةً مِنَ النَّبِيِّينَ...» ١٢٢.....
- شرح حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُمْ وَلَا إِلَى أَمْوَالِكُمْ...» ١٢٥.....

- شرح حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ...» ١٢٦.....
- شرح حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَدِدْتُ أَنَا قَدْ رَأَيْتُنَا إِخْوَانَنَا...» ١٢٨.....
- شرح قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنَا أَنَا قَائِمٌ إِذَا زُمْرَةٌ حَتَّى إِذَا عَرَفْتَهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ...» ١٣٠.....
- شرح حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ...﴾ ١٣٢.....
- شرح حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ...» ١٣٥.....
- شرح حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي...» ١٣٦.....
- شرح حديث: «ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ يَخْرُجُ الدَّجَالُ مَعَهُ نَهْرٌ وَنَارٌ، فَمَنْ وَقَعَ فِي نَارِهِ، وَجَبَ أَجْرُهُ، وَحُطِّ وَزْرُهُ...» ١٤٤.....
- شرح كلام أبي العالية: (تَعَلَّمُوا الْإِسْلَامَ فَإِذَا تَعَلَّمْتُمُوهُ، فَلَا تَرْعَبُوا عَنْهُ....) ١٤٦.....
- شرح حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا خَطًّا...» ١٥٣.....
- بَابُ مَا جَاءَ فِي غُرَبَةِ الْإِسْلَامِ وَفَضْلِ الْغُرَبَاءِ ١٥٤.....
- تفسير قول الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ﴾ الآية ١٥٤.....

- شرح حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا
بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»..... ١٥٧
- شرح حديث أبي ثعلبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾..... ١٦١
- شرح حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إِنَّ مَن بَعْدَكُمْ أَيَّامًا الصَّابِرُ فِيهَا
الْمُتَمَسِّكُ بِمِثْلِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ الْيَوْمَ، لَهُ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ...»..... ١٦٤
- شرح قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ، الَّذِينَ يُمَسْكُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ
حِينَ يُتْرَكُوا، وَيَعْمَلُونَ بِالسُّنَّةِ حِينَ تُطْفَأُ»..... ١٦٧
- بَابُ التَّحْذِيرِ مِنَ الْبَدْعِ..... ١٦٨
- شرح حديث الافتراق..... ١٧٠
- شرح أثر حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كُلُّ عِبَادَةٍ لَا يَتَعَبَّدُهَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ،
فَلَا تَعَبَّدُوهَا فَإِنَّ الْأَوَّلَ لَمْ يَدْعَ لِلْآخِرِ مَقَالًا...»..... ١٧٥
- شرح حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «... وَكَمْ مَن مُرِيدَ لِلْخَيْرِ
لَنْ يُصِيبَهُ...»..... ١٧٧
- الخاتمة..... ١٨٢
- فهرس المراجع..... ١٨٣
- فهرس الموضوعات..... ٢٠١

